البنات في شعر الآدباء

تأليف
أ. د. مسعد بن عيد العطوي
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

1430 هـ/ 2009 م

الألوبة
www.alalubah.net
البنات في شعر الآباء

تأليف

الأستاذ الدكتور/ مسعود بن غياث الهاشمي
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م
مسلد عيد العطوي، ۱۴۲۰ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العطوي، مسعد عيد
البنات في شمر الآباء - الرياض
۱۶۱ ص، ۱۷×۲۴ سم
ردمك : ۴-۲۴۶-۳۲-۹۹۶۲
۱- الشعر العربي - السعودية
- العنوان
دیوی، ۱۹۸۵، ۱۱۱، ۸۱۸۰، ۲۰۰۴، ۲۰۱۳
رقم الإعداد : ۲۸۰۴/۲۰۰۱
ردمک : ۴-۲۴۶-۳۲-۹۹۶۲
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
شكراً وتقدير

إلى معالي مدير الجامعة/ الأستاذ الدكتور محمد بن سعد السالم

الذي فتح الباب لطباعة مؤلفات أعضاء هيئة التدريس في مطابع الجامعة؛ كما يشرف المؤلف على مؤلفه، ويتابعه عن كتب في مراحل طباعته.

وفي ذلك تخفيض من كلفة الطباعة، واستثمار للبحث العلمي وكلاهما فيه تشجيع وتنمية للمعرفة ونشرها.

فنسأل الله أن يأخذ بيده لخدمة الإسلام، ووطننا الغالي، وسائر الأمة الإسلامية؛ ليحقق آمال وتعهده أهمنا رعاهم الله.

المؤلف
الإهـداء

أهدي كتابي إلى زمرات حياتي، ومؤسسات مجلسي، وزارعات البسمة على شفتي في عتمنا الحياة إلى أم أولادي وبناتي:
ثبتن الله بالقول الثابت، وهداهن إلى الطريق المستقيم;
ووفقهن الله إلى كل عمل صالح وجليل، وجنبن كل مكروه،
وأدام رعايته وحمايته لهن إنه سميع مجيب.
المقدمة

الحمد لله خالق أرضه وسمائه، خالق ليله ونهاره، خالق رجاله ونسائه، خالق بره وبحره، خالق العقل والروح والجسم، مدير هذا الكون، وجاعل عنصر التلاحم كل ما تبصرته الأنصار تعود عاجزة قانعة بالباري المصور، وصلت الله على نبينا محمد عبيده ورسوله الذي يمثل العلاقة بين الرجل والمرأة، فهو أعظم زوجاً، وأرحم أباً، وألين قلباً، هو حامل راية الإيمان وعلم البشرية صنائع الحق والخير والجمال وبعد:

فإن البنات فتيات الحاضر وهي أمهات المستقبل، والبنات من التربية الأولى للأخلاق يستمد من أمهاتهن الصفات الخلقية كما ورثن الصفات الجسدية.

فإن البنات اليوم سيصرون أمهات، والأم هي مناهج السلوك والأخلاق هي الأرض وينابيع الماء التي تنبت الفرشاة الجميلة المستمرة.

فما أشد حاجة الأمة إلى أن تكون الأمهات منبتعج صافية منقاة تنشئ أولادها على الإيمان الصافي، وتمي عقولهم بالوعي والمنهجية، وتصقل صفحتهم بالأخلاق الحميدة المحمودة، وتروضهم على الهدى والثقة والاعتقاد، والإنجاز العملي، والتفكير الثاقب يقول معروف الرضائي:

وتب مأز بالأخلاق من محل فحضن الأم مدرسة تسامت

بتدريب البنين أو البنات

بأخلاق النساء والولدات

وهم أز للأخلاق من محل
وليس ريب عالمية المزايا

فما المرأة إلا منبات شخصيتكم، ومغذتها بلبانها، وهي مصدر قوتكم،
وغارة حبنا وتأخينا، وهي آسية المرضى والجرحى، وساعدة التكوين
والاحتراء، ومواساة المحزونين، إنها ساعد الإنسانية، وجناب الطائر
للناهدعين والمتفوقين الملونين بالعلم والتقنية، إن الجينات من الأم لا
تتحصى في التكوين الجسمي بل تحتل مساحة من التكوين الذهني،
فالأولاد يحملون صور الأم الحسية والعقلية.

يقول إلييا أبو ماضي في الأم:

قال أجل: أشرب سرَّ التي
صورتها في القلب مطبوعةً
لاتملصاني رياً ولا
يضيع مالي ويزول الصبي
قدم وهمستن روحاً كلها
سَرَّاتي لا غثاءٌ بينكم

إن الفتاة التي تستشعر الأمومة، تعد لها عددها، ولا ريب أن الحنان
والتعاطف غريزة أمومية، لكن يختلفها التطبع بالطبعان الفاضلة، والتعقل
بالفكر المنهجي، فتكون الأمومة وتهيئة وترويض العوامل الاجتماعية
المجتمعية هاجس الفتاة تدفعها إلى الإيمان الصافي والعلم النافع والتربيئة

(1) إيلياء حاوى معروف الرصافي 142.
(2) الشاعر إيلياء أبو ماضي 120، دار كتب وكتاب، بيروت 1988. 
الخلاقة، فتبقي جلاء الروح في حياتها، وتشعل الأحاسيس حية بذكرها بعد مماتها.

تدعى الأم لبناء كيانها، وحصونها الأمينة من الداخل، وهل هي تعلم؟ أم هي لا تعلم أن الحصن الأكبر الذي تبنيه إنها هو الفتاة التي ستكون أمًا، وهل هناك أحسن من الأم؟ فالأم أكثر من قوام في بناء العقول قوة أو ضعفاً.

إن مشهد الأم في الطائرة المحترقة التي تضم وليدها بين أحشائها والنار تلتته من حولها وتلتهم أكسبتها وتصلى وجهها وجوانبها حتى احتفرت ووجدوها منحنية على طففها، إن تلك الأم وكل أم كذلك فهي التي تكون قلعة لأطفالها في عقولهم وأحلامهم.

فإذا كانت القلعة، قد بُنيت من الحجارة الصلدة القوية، وأحكمت البناء بالعلم فستكون حصينة، وكذلك الأم التي أسست على الإيمان والقوى والفكر البناء، فإن نتاج الأم؛ يعمل هذا السياج العقلي والفكري، فما أ حول الأمة إلى بناء كيان الأم على الأساس الإسلامي الصافي، الإنسانية الرؤيمة، والعقلية المتألقة، والمنهجية الحياتية المتكاملة، مزدانة بالأحاسيس الحانية، والأحلام البالية. فإذا بنيت هذه الحصون في كيان الأولاد، فثمة ندرك وجود المرأة الصالحة التي هي من أعظم حسون المجتمع.

فلا غرابية أن يشفف الآباء آذان بناتهم بمواعظ ونصائح تعلو بهن إلى تكون تلك المنزلة السامية كما أراد الله لها وخلقتها لتحمل أمانةٍ هي من أسمى الوظائف، ومن هنا فالشعراء يزعمونها في بناتهم ويرغبون فيها، كي تترقى بسائر قواها العقلية والروحية والجسدية إلى منزلة الأمومة رمز
البقاء البشري، ورمز الورشة الصالحة، ورمز القوة، ورمز الحضارة، ورمز
الأمة والوطن. فالمراة تلبب عن هذه القضايا سواء كانت قوة أو ضعفاً.
الأنثى زهرة الحياة، وزهرة العالي للأسرة والفرد، كما قيل إن المرأة التي
تهز سرير وليدها يحملها تهز العالم بشمالها، وقيل "وراء كل عظيم أمرأة،
فالبنات ضرس الوطن تنتعلق مكانة الفتاة إذا استقت فكرها من جداول
العلم والوعي، وإن الفتاة نور الهدى، تجلو عن بنيها عمى القلب، وترتقي
بهم للمجد، إن تعليمها تعليم للمجتمع وتجسيد للعمل الصالح وتهذيب
لأبناء الأمة.
إن كان هناك فخر بأمجاد الأقطار العربية، كشخصية المبدعين والمؤلفين
فإن ذلك حقيقة غير أن مفاخر بلادنا هي حزب مكين من الظهور لعدم
المهجة الإعلامية مع إنها قيم فاضلة، وأعمال سامكة، وأدوار سامية
ومنها تعليم المراة في بلادنا الذي قام على أسس إسلامية ونسائية.
وصيانة للحياة، وصولًا للاخلاق من منظور ديني، ولفقي، وإنساني.
إنه أكن كل تقدير وألهج بالدعاء لأولئك الذين أسمعوا تعليم البنات في
ديارنا، ووضعوا أنظمتها الرائعة، يستوي عندي المستشارون والمندوبين، من
أعلى مستوى الأسيرة المالكة آل سعود إلى أولئك الذين أشاروا العملية
التعليمية وفي مقدمتهم الفتى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ برحمه
الله والشيخ عبدrezق الشميس والشيخ/ناصر الراشد، أول رئيس لتعليم
البنات ونحن الآن نقدر جهود الرئيس المعاصر لكتابة هذا الكتاب الدكتور/
على المرشد، ولأنتي قد عاصرت مسيرة تعليم البنات فإنهيني أقدر للدولة
حسن صناعة باختيار روؤساء التعليم من علماء الشريعة المشهود لهم
بالفضل والصلاح، مما أضيف على التعليم الروح الإسلامية منهجاً، وصيغة
بالصبغة الأخلاقية.
وأخذت الفتاة تترقب بالعلم والعمل، وتتحمل مسؤولية العلم، وتشارك في بناء الوطن فكان في ذلك عزة الفتاة والمرأة وعجزها عن الوطن وأبناء المجتمع:

إذا ما عنيت بهذي البنات تروا أمهات لكم صالحات
ويعرفن من حقكم ما وجب

(1) يقاسمنكم متعبات الحياة

أيتها الفتاة أنت تحملين أمانة الحياة على كاهلك فانت تحملين الإيمان وتحملين إرضاعة لملذة كبدك تقدّذينه من وحى الحياة المستعمرة فالإيمان هو الفيء الذي إليه يلجأ الإنسان من سعير أخيه الإنسان في الدنيا وتنقّذن طفلك وأنت من لهيب الجحيم الأخروي.

أيتها الفتاة أنت تحملين الغذاء العقلي كما نهضت بالغذاء الجسمي تحملين بناء المنهاج العقلية، وبناء التأمل الفكري مثل كيفية تلقي القضايا واستقبال العقل لها، وتفاعل معها.

أيتها الفتاة أنت تحملين مسؤولية البناء الخلقى هآنت المنهل الذي يستقي منه غرس الأولاد بنين وبنات فتجذرن القيم التي تتمثل فيها الروح الإيمانية الإسلامية، والنسائية العالمية.

أيتها الفتاة أنت تحملين مسؤولية منهجية العمل، فالعمل هو الحياة وهو وسيلة عمارية الأرض، وسعادة حياة الإنسان، فإذا كان الفرد عاملاً منجزاً كان منتجًا فاعلاً للخير، وإن كان متكاسلاً كان عالة على الأسرة والمجتمع.

إن مهام التربية في العالم الإسلامي التكاثف على العمل ومنهجيته

مصطفى الغليبي، نبوان الغليبي، 52.
والترويض عليه. ولذا وجب علينا أن ننشر حب العمل في نفس أولادنا مبكراً من بداية الطفولة بتوجيه من الأم أولأا ومن الأب ثانياً، فعلى الأبوين ألا يتركوا الولد ولا يجعلانه اتكالياً في منزله وأعماله الخاصة الصغرى.

أيها الفتاة أنت تحملين أمانة المال الوطني والآسرى. فعليك حمايته وتصريفه في أوجه الخير، تصونينه من الإسراف والتبذير، وتخضعينه للعقل والتدبير، أما إذا كان في أسرتك ضيق من العيش، فعليك أن تسعى جاهدة، وتكوني عوناً لزوجك، تواصينه وتؤسسينه، كي تكون مسيرة الحياة في توازن واعتدال، فعلى الفتاة اليوم أن تهيئ العقل، فتكون عقلانية لتوازن بين الأمور طبكاء وروية، وتكون عوناً لزوجها في المستقبل، ولا يكون إلا بالاختيار عن إنشال كاهلله بمتطلبات يعجز عن تلبيتها إلا بالإسدانة، ومن ثم تكراكم عليه الديون، وتبتكر صفو الحياة، وتضعف تربية الأولاد، وتذوي الأسرة، وتتزوي، وربما تفتقروا، ويضيع الأولاد.

وبعد فقد دعاني إلى هذا البحث صدى قراءتي لإبداع المبدعين من الشعراء حين يمحضون بناتهم بصفاء أرواحهم وعقولهم. وقد حاولت أن أرصد مسيرة الحياة للبنت من يوم ولادتها ومروراً بطفولتها ومؤنستها لأهلها. ومشاركة الأب لها في أفراحها وأتراحها إلى يوم وفاتها، وعلقها بقلبه حتى بعد وفاتها. والله أسأل الأجر والمثوبة والدعاء الخاص من كل قارئ وقارئة.

أ.د. مسعد بن عبد العطيوي
المراة في الجاهلية

الجاهلية العربية الأولى جاهلية لبدها عن التعاليم الربانية، فلا يُرجح التاريخ سيرة نبي، ولرسالة رسول، والرسول. أرسل إلى قوم لم يكن لهم رسول من قبل. ومع ذلك صاغوا لهم منابع الحكم والإرادة السديدة، ووحدوا مسالمتكم لأخلاقًا قل أن نجد لها مثيلاً في الأمم الأخرى. فصيانتكم العررض قبل المال قبل الفطر، ضيكترون المنازل والديار التي لا تبتذل فيها المرأة، وهم يختارون جيرانهم الذين يعرفون بالفقراء، وهم يرقبون وضع النساء مع أعيان الثقة والحرية في الانتقال اليومي للرعي وغيره.

كما يعملون جاهدين على تضييق فرص النزغ وطييش الشباب، وكانت مجالسهم حافلة بتربية الأجيال على العفة والفسوية، والمرأة، فالقصالي في محتواهم يلهب روح الشباب، ثم بعد ذلك العقاب الشديد الذي لا يُنظر له إذا ما اتضح الأمر الذي يؤدي إلى خمول الفتى والفتاة معاً.

بل إن أب الولد تارة يتولى قتل ابنه الشاذ أو يهدده دمه ويتبرأ منه كما فعل ملك كنده لا بني إمرئ القيس، والمرأة لا يكون على ضرر وإنما على القبيلة كلها، وبذلك تخشى المنحرفة والمحترفة، وطالما كان ضرر من القبيلة أو أبناء الموموة والأخوة داخل القبيلة، وقد تطور العقاب في القبائل المتأخرة إلى دفع عدد من الديات، وإركاب الجنان حمار يُطفئ به بين الناس، وإيفاء خيمة الشعر حالياً بضياء، وقد أخذ ببعض هذه المبادئ كتأديب في المدن كالمدينة، وبغداد لا سيما في عهود المماليك.

فلم يداهم القبيلة جيوش غازية فإنهم يسارعون إلى تحصين النساء والأطفال، ويتبددون من يجمسون ويحرسون أو يختارون أحسن القلاع والحصون لأنه من العارأن تُسبى النساء ثم يقدمو أنفسهم للحرب دفاعاً.
عنهم وعن أموالهم.

والفتاة ليست ضعيفة لا حيلة لها، ولكنها تكافح حرية، وتلهب حماسة قومها؛ فهي تقف مع قومها مشعة لهيب الحرب كما يتضح من قصة المثل المعروف "ما يوم حليمة بسر".

فحين استحكمت الجفوة بين المنذر بن مأء السماء ملك الحيرة، والحارث بن أبي شمر الفساني ملك الشام، وطبع كل منهما في صاحبه، فخرج إليه بما ملك من قوة وواسع شديد. وبنى الحارث في طريقه إلى العراق قدام عليه قادم من الحيرة له نسب في الفاسسة فأخبره أن جيش المنذر لا ينتظر الموانع ولا طاقة له اقتتاله أفلما تراي الجيشان على "عين اباغ" اختار الحارث مائة من فتيانه كلهم شديد البأس، قوي الشكيمة، وأمرهم أن يأتوا المنذر فينفضوا إليه بطاعتهم وطاعة أهل الشام جميعاً، حتى إذا أنسوا منه هدوءاً وغرر فتكوا به. ثم أمر ابنه حليمة فطافت بهم فضصختهم بالمسك جميعاً - وكان ذلك مما أفضح عليهم حميّة وعزموا وإقداماً فذبحوا إلى حيث أمروا، وقتلوا المنذر وهو في العدد العديد من قومه حتى إذا سمع الحارث وجنده صيحة الظفر من فتيانهم زحفوا فتلاقوا بأعدائهم وأوقفوا بهم.

فراحوا فريقاً في الأسار ومتلهق قتيل ومثل لا بالبحر هاربه.

ذلك يوم حليمة وهو من أروع أيام العرب وأهلوها وحسبه على ما نريد دليلناً. وأما حجاب الانتقام فلم يكن له بينهم نظام شامل ولا هيئة واحدة ففي القبيلة الواحدة ترى "البرزة" وهي التي تجلس إلى الرجال وتجاذبهم.
الحديث سافرة» ومنهن المتلصمة التي تغطي ما تحت الفم ومنهن التي تستتر بالنفث.

وقال يوسف خليف: «وكان حماية النساء والأطفال خطأ أساسي في قت مهم الحربي، وكانت المقدرة على حماية الطعينة عنصرًا أساسيًا من عناصر البطولة العربية فجعلهم يطلقون على بعض أبطالهم «حامي الطعينة».

ومما يروّي في حماية (الطعينة) أن دريد بن الصصمة خرج مرة في فوارس من بني جشم حتى إذا كانوا في واد لبني كنانة لاح لهم رجل في ناحية الوادي ومعه طعينة. فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه صاح به: «خل الظهينة وانلح بنفسك، وهم لا يعرفونه، فلما ألّع عليه الفارس ألقى الرجل زمام الراحلة وقال للطعينة:

سيرداغ ذات جاش ساكن
سیرکل سیر الآمن

أن اثنائي دون قرنين شرائي
أبيع بلائي واحبري وعايني

ثم حمل عليه قصره وأخذ فرسه وأعطاه للطعينة، فبعث دريد فارساً آخر لينظر ما فعل صاحبه، فلما انتهى إليه صريعاً قال به، فنصدم عنّه وظن أنه لم يسمع فغشى له فألقى زمام الراحلة إلى الظعينة ثم رفع وهو يقول:

خل سبيل الحرة المنيعة إنك لاق دونها ربيعٌ

الشعر الشعاليك ص 106
في كفيفه خطية مطينة

أولاً فخذيها طعنناء سريعة والطعن مني في الوجي شريعة

ثم حمل عليه فصرعه فلما أبطأ على دريد قبعت فارساً ثالثاً لينظر ما صنعاً فلما انتهى إليهما راهم صريعين ونظر إليه يقود ظميتته ويجر رمحه فقال له خل سبيل الظعينة: فقال للظعينة: اقصدي البيوت ثم أقبل عليه فقال:

ماذا ترى من شتيم عباس. البر ة الفارس بعد الفارس

أرداها عامل رمح يابس

ثم حمل عليه فصرعه، وانكسر رمحه. وارتاق دريدوطن أنهم قد أخذوا الظعينة وقثلوا الرجل، فلحق ربيعة وقد دنا من الحي، ووجد أصحابه قد قتلوا، فقال: أيها الفارس، إن مثلك لا يقتل ولا أري معك رمحاً والخيل ثائرية بأصحابها، فدونك هذا الرمح فإني منصرف إلى أصحابي فمثبطهم عنك، فانصرف دريد وقال لأصحابه: إن فارس الظعينة قد حماها وقتل فرسانكم وانتزع رمحي ولا مطعم لكم فيه فانصرفوا فانصرف القوم.

فقال دريد:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله

اردى فوروارس لم يكونوا نهزة

(1) مرتون من شمار الأدب ص 254.
يزجي طعيبته ويسحب رمحه مترجهاً يمناه نحو المنزل وترى الالموارس من مخافة رمحه مثل الاعتقات خشين وقع الأجل
فأي قوة تمنحها المرأة للرجل 16 إنها تعادل منزلة المرأة في أحياسه، ومن هنا نستدل على مكانة المرأة في الجاهلية، فالرجل يفديها بالنفس، وهل هناك أعزم من الأ نفس.
وقال ربيعة ذلك الفتى العربي الذي داهمه القوم فانصر عليهم:

إن كان يتفكك البقين فساسي
لولا طعان ربيعة بن مكد
فل خل الظلمينة طائعاً لا تندم
عُمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
فصوير راهلة الظلمينة نحوه
وهكت بالرمح الطويل إهابه
فهوُ صريعاً للبدين وللف
نجلاء فاغرة كشدق الأضجم
وأبي الضرار لي الغدّة تكراً
ولقد شفعتهما بآخر ثامن
ومرت فترة على ذلك الحادث، ثم يشاء الله أن يؤسس دريد لدى بني
كانة مع جماعة من بني جشم، وتخرج النساء الأكثريات بتجول بين
الأسرى - ك عادة العرب - يسخرن منهم لذا واستهتاراً، وفجأة: صرخت
إحدى النساء: هلحكم وأهلكم ماذا جرى علينا قومنا، ووقفت النسوة

المصدر السابق

17 - 2
يستطعن الخبر مدلوشات، فأزالت القائلة عنهم الحيرة حين أشارت إلى
أسير يرزق بأغلاله فقابلها: هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة،
ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: «أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي،
فسألوه عن نفسه: فقال: أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن
مكدم قال: فما فعل؟ قلوا: قتلته بتو سليم. قال فما فعلت الظعينة؟ قالت:
أنا هي وأنا امرأتهم. وصار القوم في حرية من أمرهم. فهل بكضرون نعمته
وبيقهم في الأسر حتى يفتدى نفسه. أم يلبون نداء الواجب ويفون بجوار
المرأة له، وكان المرأة عرفت ما يدور بخلدهم، فخرجت ليلاً تطرف بين
بيوتات القوم، توقف النائم وتسمع الساهر صرخات مدوية، وكأنها تملي
على القوم ما يجب أن يفعلوه فتعالى صوتها:

سنجزي دريا عن ربيعة نعمه
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه
والمرأة الذين طوع الرحم الطويل المقوم
سنجزيه نعم يا لم تكن صغيرة
وأهل بأن يجزى الذي كان نعمه
ولا تركوا تلك التي تملأ الفما
ولاتجعلوا البوسى إلى الشرسلا
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه
فهل تكرهوا حق نعماته فيكم
فضكو درياً من أسار مخارج

ولكننا المرأة السامية عند العرب، لم يستطعوا رفض طلب (ربطة)
وأفحمت بأتباعهم من كان يتردد في إطلاق سراحه، ودعت بالوفاء وركزت
على تلك الكلمة: لأنها تثير حفظة العربي من عرفان بالجمل، ولم تكتف
(ربطة) بإطلاق سراحه بل كسته وجهزته ولحق بقومه مكرماً معززاً.

-18-
وأثبتت (ريطة) الأخلاق العربية السامية بحفظ الجميل لين تستحقه لعله
همته و تقديرأ لرجل باسل بات تحت الثرى (1). فكيف نشكك في مكانة المرأة عند الجاهليين، أنهم تكن درة ضالة،
وصاحبة كلمة نافذة، تجبر كما يجبر الرجل، بل هي أكثر استفارة للجميع.
ولو قورنت المرأة العربية في جاهليتها مع المرأة في الأمم الأخرى،
لوجدنا أن المرأة العربية كانت ذات دلال و أهمية تفوق مكانة المرأة في الأمم
الأخرى فلم تكن العربية الحرة تمتتهن كغيرها في الأمم الأخرى.
واحتفظت بأعز خاصية النساء الشرف والعفة، فلم تكن الحرة تزني،
وقال النعمان: "النساء العربية أعف النساء" فكن يحرمن الأزنا للحفاظ
على شرف القبيلة وعدم اختلاط الأنساب ولقد اعتقد العرب أن اختلاط
الأنساب يفسد النوع ولم يكن العربي ينظر إلى جمال المرأة الجسدي
فحسب. بل يهتم بالقيم العلوية من حس وشرف وخصال كريمة.
فالشنوري يتحدث عن شرف زوجته وحسن أخلاقها و مدحها بالوقار
والخجل تستقر و تلمع فناؤها فلا يستطع، وإذا مشت أسدتها تعينها
وغضت بصراً، ولا تمثل محادثة الرجال، وإن اعترضوا رجل أوجزت
ومضت لذا، فهو يتيه فخراً ويتالى زهماً لسمعتها الطيبة في العشيرة.
وهو سعيد بها يتق بتصريحتها، فهي سامية الخلق نفية الردن، حسنة
المعشر. فهل عصينا تتمثل أرومتها الأصيلة وتدع التقاليد المستوردة
فلا تدعي متبرجة تعرض أنوثتها على الجوالات 14 إن المرأة العربية لا تتشبه
بالإباء جهالة وتهتكاً، وإنها تكون كما قال الشنوري:
(1) انظر كتاب طوف من شمار الأدب ج 1 ص 254
لقد أعجبني لا سقوطًا قناعها
لجارتها إذا مهيبة فيتت
تبيت بعد النوم تهدي غبوفها
إذا ما بيوا بالمدينة حتت
تحل بميما من اللوم بيتها
إذا ذكر النسوان عفف وجلت
أميمة لا يخزي نتها حليلها
إذا هو أمسي آب قرة عينة
مالرآ أحرمة في الجاهلية حافظت على عرضها وصانته، واستشعرت
موقفها من أسرتها وزوجها، فهي الأمينة والأنيسة ويقول علامة بن عبد
النيمي يصف زوجه:

إذا غاب عنها البعث لم تفض سرها
وترضي إباب البعث حتى يودوا
ويعيننا تأمل رحلات أبناء الجزيرة في الجاهلية والإسلام للتجارة صيفاً
وشتاءً ثم بعد الإسلام حتى تمثلت في العقيلات، فهم يرحلون ولا يعودون
إلا بعد سنة أو ما يقاربها وبعضهم يمكث سنين وقد يكبر أولاده فلا
يمرون به إلا عاد وأهمهم حرص أهليه وتربيهم تربي أولادها بل كم قتل منهم شاب
عن امرأة شابة، وعنيت بتربيه أولادها وازدهرت من الزواج وتضاخر أخواتها
وأتباها بحصائرها ونزاهتها وعفتها بل كانت القدوة لبناء حياتها.
إنهما أمام امرأة عربية عالية الخلق لا نظير لها في عفافها ودينائها في
سبيل حياة من حولها تبدو روحيا وتكتم رغباتها بل تشترتها بالنور الغالي.
إذ كمل العفاف وصبرية المرض والعطاء للزوج والأولاد، والشعوراء يبدلونهن
العفاف ذاته فنلن توعدت المرأة العميقة عن عفتها حكيت كما قال النمر بن
ثوب:
لا يعلم اللمامات اللامحات ضحى
ولا اخون ابن عم في حبلته
ولا البعيد نوى عنني ولاجاري
حتي يقال إذا وزيت في جدتي
قد مضى غرمار من العاز
وقد بالغ العرب في الأبية والعفة والشرف وكانت النساء النقطة
الحساسة في شرفهم، ولذلك أحاطوها بسياج من العادات للحفاظ عليها.
حتى لا ت تعرض لما يكشف سترها الذي يجعلونه إساءة لهم.
والتفصص الاجتماعي يتعجب لقدرتهم التربوية، فهم زرعوا فيهن التربية
الذاتية. فالعربية حتى قبل الإسلام تحافظ على شرفها، وترفع عرضها.
وعرض من تدوم، وهم إذا أنسوا منهن ذلك الحرص، منعوهن الثقة.
وضخروا بهن وهن أشد فخرًا. بالآباء والأخوة والأزواج والأبناء الذين
يحمون ويصونوهن. فلا ضير عندهن أن يكال الزجاجة ضرفاً بالقوارير
مع الاعتزاز بكيانها وقدرتها على إبداء الرأي، وإذا اضطررت حاربت كما
تشرح بعض فصوص العرب إلى المرأة التي اقتلحت مع قاتل أبيها وأخواتها
فأشار أن يأخذها سبيبة لكنها سلت السيف واستمرت للتقات لين الفارس
خشيها، فخدها وقتلها.
فهم حموا المرأة وذادوا عن دمائها وصانوا حياتها، وهم حافظوا على
شرفها وعطتها. بل إنهم زرعوا القيم كماب تتبع من كيانها فالعفة والحياء.
وصون العرض كل ذلك ينبع من أحاسيسها وعقلها.
كان العربي شديد الحساسية فيما يتعلق بشرفه، شديد الحذر للحفاظ

(1) تورى حمودي القيسي، شعراء إسلاميون ص 212
على نسائه يختار الأماكن المخوطة واندار الصعبه الارتياد حتى ولو خلت
من الماء والشجر حتى لا يتعرض للغزو ويلطخ شره شئ أو عار فقال
الأغشي:

(1) سراة قليل رعيها ونباتها

ودار حفاظ قد حللنا مخوحة
أما الفجور في الجاهلية فإنه كان للجواري الرقيقات حتى بلدن عبيدا
بستخدمونهم، وهذه ذمها الإسلام، فقال تعالى: «ولا تكرهوا فتياتكم على
البفء إن أردنا تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا» (النور 32).

وقد ألزم الشرع الإسلامي بعد الجواري اللاتي يتعرضن للزنا
بينما نجد المرأة الحرية في الجاهلية. حافظت على عرضها وصانته,
واستشرعت موقفها من أسرتها وأدركت أنها تحمي عرضهم بعفافها,
فكانت مصدر فخار وتباء للإخوان والأباء.

وصحب السلمي يعدل كرمه لأخته الخنساء حين ناصفها مالها بأنها
حصان رزان لا تدان بريبة.

وكثير من أبناء القبائل يبذل أنفس الهدايا من الإبل للأمهات والأخوات
وهم يحافظون على صلة الأرحام من قبل النساء بينما الحضارة المعاصرة
تسلخها من نسبيها لتحمل اسم زوجها.

والنابعات الجبهاني يصف نساء قومه بالبعد عن الفحش وأنهن يتوشعن
بالعفاف.

شمس مواقف كل ليلة حرة يخلف من الضاخش الغيار

(1) ديوان الأغشي ص 137

- 22 -
وكل منا يدرك أن العربية قبل الإسلام وبعده تستلهم قول عائرة بن شداد أو تتمثل به:

"ولكن تبعد الضحشاء عنى كبعد الأرض عن جو السماء (1)"

ومن معالم تكريم المرأة وصابانتها أن الرجل يؤثرها على غيرها من ما تعلق بها، فهي تتلبسه وتستحوذ عليه فينظر إليها نظرة التعاطف والتمازج، فيسمو الحب ليكون علاقة دائمة تتجاوز الفرائض الجنسية إلى ما هو أسمى فترتب روحانا مما، ومن هنا كان الحب العذري الذي اشتهرت به العرب في الجاهلية والإسلام، وكانت غايته الارتباط الشرعي لا المنتوحة الحسية وأغلب العرب والشعراء يعشقون واحدة، وإن تكاثرت الأسماء في القصائد الشعرية لشاعر واحد فإنما هن رمز لأن الشاعر لا يروح باسم معشوقةه. حفاظا عليها وسترا لها، وخشية من التأويل الخاطئ ولئلا تتعرض لساءة الأقارب.

ومن معالم تكريم المرأة قيام الحرب عندما يتجاوزون حدودهم عليها بالشتم أو الضرب أو كشف الفروات، فحرب الفجار الثانية قامت بينهم لما تعرض فتية من قريش لأمرأة من بني عامر بن صععة في سوق عكاظ.

وذلك قصة الزهراء أخت كلب التي صنفها زوجها لبيد بن عنسية، فلقيت باكية إلى أخيها فقتل كلب لبيدا، وأصبح ملكا للعرب. وقصص الحروب التي يثيرها التعرض للمرأة كثيرة عند العرب قديماً ومحدثاً، وكم في المقابر من قتيل في سبيل العرض.

(1) الديوان

- 23 -
لا يرب أن المجتمعات تداخل في تكوينها شرائح أو أفراد يعملون انحرافاً فكرياً أو سلوكياً، كالصملكية وغيرها، والعرب مع رعايتهم للمرأة، والبنات وجد بين ظهرانيهم من يخالف ذلك وربما هو تجاوز للحد ومن الحب ما قتل، فهم يستشعرون مسؤولية التربية، ويفارون على بناتهم، ويرحمونهن، فيتأملن لأي عارض يعترضهن مما جعل بعضهم يتجاوز حده، ويبدد إحدى بناته خشية الإملاق، وخشية العمار والواد كان في شريحة محدودة من المجتمع، ومنهم قيس بن عاصم المنبري الذي واد اثنتي عشرة بنتاً وله أسلم أمره الرسول صل الله عليه وسلم، أن يعتقل بكل واحدة جارية ويرون أن الذي دفعه إلى ذلك حادثة لابنته أثرت فيه وهي: (أن النعمان بن المنذر أوقع ببني تميم منعهم الأثواة عنه، فأسأق نعمهم وسبي نساءهم، وفيهن ابنة قيس المنبري فوجدتهم وفدوهم على النعمان ضارعين إليه أن يريد نساءهم فحكم النعمان أن يجعل الخيار إلى النساء، فأبى امرأة آثرت زوجها ردت إليه، فكلهن اختبر أزواجهن إلا ابنة قيس فإنها اختبرت ساببها، فنذر أن يبدد كل ابنة تولد له) ١.

ولعل هذا يشبه من قتل أسرته خشية الحرب النووية. وإن كنا لا نقر هذا الأفراط قديماً وحديثاً.

ولم يكن قتل الأولاد بدعجة عربية، فقد فعلت بعض الأمم القديمة ما هو أشنع منه، فإسبيرطة كانت تقضي بإعدام الأولاد ضعاف أو المشوهين عقب ولادتهم، أو تركهم، في القفار طعاماً للوجوه والطيب، وكانت الأم تقسم الويد في ذكر من النبيذ مدة، فإن عاش دل هذا على قوته
وصالحيته للحياة، وإن مات تخلص المجتمع من عضو ضعيف، وهذا النظام نفسه أو ما يقرب منه كان منتشرًا في آثينا وروما، وقد أقره فلاسفة اليونان وفي مقدمتهم أفلاطون وأرسطو.

وكان يجب على الآباء في كثير من الشعوب البدائية وغيرها قتل أولادهم أو بعضهم لا عتبات دينية أو اقتصادية، فلاستحيا البنات ويُقتل البنون، أو يُستحيا البنون ويُقتل البنات، أو يُقتل الأولاد بدون نظر إلى ذكورة أو أنوثة. وفي المنطقة المتجمدة الشمالية حياة شيطنة قائمة على الصيد، ولذا فإن بعض جماعات الإسكيمو يُppers بنائهم بعد الولادة بزمن قصير.

وكان الفينيقيون يقدمون النساء قرابين للألهة عشتروت (الزهرة)، وفي عبادة مولون (إله النار) يضحون بالأولاد إحرازاً على النار المنتهية.

(1) في التاريخ والشراوان، جميل بينهم.

(2) الأسرة والمجتمع.
كراهية بعضهم للبنات:

وما من شك أن الشرائح التي وادت بناتها كانت تكره النساء، سواء أكان ذلك لأنهن لا يساهمن في كسب الرزق ولا في الدفاع، وأما لعقيدة دينية.

فقد هجر أبو حمزة الضبي أميرته لأنها ولدت بنتاً، ضمر بخبيثها يوماً

وإذا هي ترقصها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
تالله ماذا ذلك في أيدينا
غضبان ألا نلد البنين
وحن كالأرض لزارعنا

تبت ما قد زرعوه فيها(1)

ولا أظن أن هناك عقيدة دينية في الجاهلية تدفعهم إلى ذلك، وإنما تتحسر الدوافع للأود في الخشية من الفقر وخشية العجز عن الحماية. ولا شك أن الصراع الحربي الدائم من الحوافز على تبني الأبناء للحماية والقوة فالبقاء للأقوياء، ولا ريب أن طبيعة الرجل أقوى، حتى الأمهات يدركن ذلك فهن يتدهون على إنجاب الأبناء، ولكن يتحمل الأمر بالاعتدال فإن الذي يُزرع إناذاً وذكراً يحمد الله ويشكره. وتلك طبيعة بشرية لا تقتصر على العربي، وإنما هي هاجس كل إنسان. وما كره أبو حمزة البنات إلا عندما كثرن عنده، فهو يتمتنى أبناء، ولم يكره البنات الثلاثي عنده ولم يسن معاملتهن.

(1) انظر: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، 237- 8 د.
حماية الفتاة:

أما منزلة المرأة والبنت في الأسرة العربية في الجاهلية والإسلام فإنه أمر محفوظ بالحماية وتأمين المأوى والملابس، ومعطى بالحب والتوتر، فما تفسير الحب الغامض للأباء والأممات وماذا نفسر فداء البنات لإخوانهم الذين يُقَتِّلون أو يُؤَسَّرُون، إن الحب هو الشائع الذائع، ولكن شيوخه وعموميته أفقدته الحديث عنه لأن الإنسان لا يتحدث عما هو شامل عام، وإنما يكون الحديث عن النادر ومع ذلك دون الشعر العربي لنا بعضاً من المقطعات وما ضائع ولم نعثر عليه أكثر فضما حُفظ لنا قول معن بن أوس وكان له ثمان بنات، ويقول: ما أحب أن يكون لي بن رجل وفيهن قال:

"رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب تساء صالح عواند لا يملؤها ونوانج وفيهن والأيام يعشن بالفتي".

وحذروا أن عمرو بن العاص دخل على معاوية بن أبي سفيان وعندته بنت له يلاعبها، فقال له: انبيها عنك يا أمير المؤمنين! فوالله أنهن بلدن الأعداء، وبشرين السراء، ويؤدين إلى الضفائن. فقال معاوية: لا تقل، فما ندب الموتى، ولا تفقد المرضى، ولا أعان على الحزن مثلهن (1).

وقال الزهري: كانوا يريد أصحاب رسول الله - لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقته. ولا جهاداً، لحاجتهن إليه، وشغله بهم، والعناية بتربيتهن. وكان أبو حذافة الفئان من غلاء الخوارج - يشير إلى ذلك، وكان قد طلَب إليه الغدو إلى فتال فقال:

(1) عطيفي: المرأة العربية 2:302.
فقد زاد الحياة إلي حبًا،
وان يشرين رفقاً بعد صاف
فتنبأ العين عن كرم عجاف
وفي الرحمين للضسعفاء كاف
وخرج الحي بعذبة في اختلاف

وبحجي الإسلام توستأف آفاق المرأة فاضحت مجازدة مقاتلة فهذه صفية بنت عبدالمطلب تدافع عن نساء الخندق وقد من النساء أستاذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى غزوة خيبر فأذن لهن ومنهن المجاهدة خلية بنت الأزور التي وقفت جنباً إلى جنب مع خالد بن الوليد في معركة (أجنادين) بعد أن أسر أخوها وهي التي أوعزت النساء بعد أن أسرن في غزوة (صحورا) الحمية في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء معهن، فقالت خذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطباب، ونحمل بهما على هؤلاء اللثام، فقلل الله بنصرنا عليهم، فقالت عفراء بنت عفان، والله ما دعوت إلى ما هو أحلي إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل واحدة عموداً من عمد الخيام، وصحن صبيحة واحدة، وألقت خولة على عائتشة عموها، وتباع النساء وراءها فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكم عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة، ولا تنطرقن فتملكن، فبقع بكل التشتيت، وحطم رماح القوم، واكسرن سيفهم، وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها، وقاتلتهن، وقتلن قتال المستوي المستميتك، حتى استندتها من أبدى الروم وخرجت وهي تقول:

---

البرد الكامل، تحقيق/ محمد الدالي، 1082 - 28
نحن بنات تبع وحَمْمَـر
اليوم تسكون العذاب الأكبر (1)
لأننا في الحرب نار تسمر

وهذا ابن يسير بدأ يعلن عن حبة للحياة بشكل جديد، ليس لعاقبة
cالأس أو مصاحبة الغواني، ولكن ليعيش لابنته التي يحبها ويعنوه عليها
ويخشى عليها إذا مات ذل الهم وقد جفحا روحمها، إنه يخشى على
فلذة كبده فضاطة عم أو جفاء أخ، وهو كلما تسورها تندبه ساولت عبرته
ممزوجة بدمه، ومن ثم فهو يتنمى لها شيئًا آخر في حياته حباً لها وشفقة
بها، فماذا قال الشاعر الحكيم وماذا تمنى? أن يقول:

(1) عفيفي، النساء في جاهليتها وإسلامها: 117.
(2) محمد معيدي، أشعار النساء: 80.
تربية المرأة في الإسلام:

ومن أشهر الدراسات عن المرأة العربية وتاريخها دراسة عبد الله عفيفي، فقد تحدث عن المرأة في الجاهلية والإسلام، ووصف فوائد تأثرها بالوافق الإيمانية لصفاء في نفسها، ولعمق نظرتها للمواقف الإنسانية، فبفطرتها وطبيعتها أشد تعلقاً ب الإنسانية الإنسان، وعلاقتها بالكون في حياته العاجلة وداره الأخرى. فهي تطلب الحياة الصالحة، ولهمرأة من دقة الحس، وقوة العاطفة، وبعد الخيال فوق ما للرجل فهي لا تبرح الدهر بين ناول متوبث، ووجدان متتأشرا تكاد تستمتع خبزا، أو تلحم منظراً، أو يطيف بها ذكريا، حتى ينال ذلك من أعماق نفسها، وأسرار وجهها، وشُنَّ عينيها.

ومن هنا فإن الفتاة جدبة بأعظم الجهاد التربوي والرعاية الأسرية، وهي أكثر قبولا للتنمية البشريّة، ويدرك ذلك من يرعى بُني وبنات، فإن البنات أسرع相对于 التنمية، فإن التزامهن بالصلاة أسهل وأيسر، فالآباء والمهات لا يجدهم أنفسهم في إيقاظهن بينما يعاوون على الأبناء المرة تلو الأخرى.

حقيقية لا مراء فيها... فالأي طرق التربية أثر في حياة المرأة، وأحق باستكمال فضائلها، وأذاعه مزاياها؟

محمد بدر معيدي، أشعار النساء. 80
المراة العربية في جاهليتها وإسلامها 2:42
الدين وحده هو كفيل بذلك. فهي بما لها من انسجام مدى التصور، وقوة
سلطان العاطفة، تتمثل عظمة الله أكثر مما يتمثل الرجل، وتسهير حب
الله والخوف منه بأشد مما يستشعره.

«إن تصديق المرأة تصديق وثيق عميق. فهي لاتحاول - كما يحاول الرجل -
تطبيق أمور الدين جليلها ودقيقها على عقلها. وهي الدين أشياء لا تزالها
العقل، ولست بناءً ابد الدهر مشهداً لا يزال على طول المهد به ينتجون
عواطفي، ويجلج جوانحي وجوارحي إلى وجدان حي، ومتشاعر ثائر،
وهو على ما نقول أدل، وله أمثل، وذلك الذي أقصيه عليكم:

في أصل يوم من صيف سنة 1914 كانت واقعاً في جمهور الواقفين
في محطة طنطا أثر وقفة القطار القادم من الإسكندرية لأنتحذه إلى القاهرة.
لقد كان كل في شغل بتلك النقاط المعروفة قضيها في تدوين
إشراق، وترقب وانتظار، وحمل متاع وتنسيق آخر، وكنت في شغل بتصديق
يجذبني حديثاً شياً ممتعاً في تلك اللحظات الفانية. وبين ذلك الجمع
المحتدش، راع الناس صباحا وعوال، وتهدج واضطراب، ومشادة ومدافعة،
ثم أبصروا فإذا فتاة في السابعة عشر من عمرها، يقودها إلى موقف
القطار شرطي عات شديد، وساعة من سعادة معتمدي الدول قوي عتيد، ومن
خلفها شيخ أوربي جاوز الستين مكتب مهزل، وهي تدافع الرجال حولها
بيدين لا حول لها.

أقبل القطار ثم وقف؛ فكاد كل ين幙 بذلك الموقف موقفه وما قصد له،
ثم أصعدت الفتاة ومند معها من حولها، وعجلت أنا وصاحبي فأخذنا
مقاعدنا حيث أخذوا مقاعدهم. كل ذلك والفتاة على حال من الحزن

- ٣١ -
أنا وأبوها ومن حولها.
كان ذلك حتى افتيت على القاهرة فجعل دونها. ثم أعلم بعد ذلك شيئاً من أمر فاطمة لأنني لم أزدد أن أعلم ... رحمة الله وبركاته عليك يا فاطمة أنت أولى شهدات الراية الحر، والإيمان الوثيق.
لذلك كان دين المرأة - إذا طلعت عليه - أكثر وضحاً، وأوضح سناً، وارسخ اصولاً، وأبعد عن عشرات الخيرة ونزاعات الشيطان - من دين الرجل.
ولذلك كانت - إذا أخذت به، ونشأت على جبه - أشد الناس عصمة في السر والعلانية، وأظهرهم صحيفته في المشهد والمغرب، وبعدهم عن افتراض المأثم، واجتراح المحارم. إذا سكبت السنة الزواج، وهدأت عيون الرقيء.
إن ضلاًلاً أن تحمل إلى الصبيح فتعصبه بالنداء، وتقنعها بالهواء، فإن ذلك إن فعلت هو تفسى نفسها، وظلمت نفسها، فلا تشعر بعدم دأبار الزمان، ولا تنسلع بقليل الشرف، والخير للعالم يومئذ أن تطوى صفحتها، وتقوي بحياتها من أن تفتقدها بها دوماً، وهرجومة وبيئة.
إن محالة أن تحمل إلى الأخلاق النظرية تفسقها إليها مواعيّ يرجم بعضها بعضًا، وعطام ينهاها بعضها على بعض، فإن ذلك مما يكيد ذهنها.
ويتقل خاطره، وربما شق عليها استطاعها، فابغضت وابغضت ما حولها.
ليس إلا الدين، فهو وحده الذي يملك زمام نفسها، وقوم أمرها، بما فيه من ذكر الله، ووصف جلاله وعظمته، وملكونه وجبروه، وعجبب صنعه.
وبديع آياته، وقدرته ورحمته، وناره وجننته، وأشبه ذلك مما يوافق سجيتها
ويثير عاطفتها، ويزيد غرسها زكاء، ونفسها صفاء(1)

بقول عفيض:

والبatus بضافتنا أن نقص عليك قصصاً مما يسوقه بعض كتب التربية
الفرنسية دعماً لذلك الرأي وإعزاً له;

قالوا: إن صبيبة في التاسعة من عمرها مررت على الإساءة إلى أبها، ولم
تزدها إلا فجوة وتعاداً، حتى لقد رمتها ذات عشية بقطعة من الخبز كانت
في يدها؛ دهبت الأم لذلك واضطرت. وخرجت لساعتها إلى مربية ابنتها
بالمدرسة تشك إليها بثها، وسوء صناع أبوتها بها. فهدأت ثائرتها، وقالت
لها: دعني وإيها.

استهل الصباح، فدرجت الصبيبة إلى مدرستها. ودق ناقوس الكنيسة
فغدا إليها التلميذات وهي معهن، ثم أخذت كل واحدة مكانها، وأقبلت
المربية فجلسست مطهرة صامتة، لا تقول شيئاً، ولا تفعل شيئاً. تطاول
الوقت حتى أوشك أن ينتهي. ونشرت السكينة رواها على البنات جميعاً،
وتأتي عليهم جلال الملك وهيبة المربية أن يكلمنها. ثم اعترمت الكلام فكن
جميعاً عيوناً شواخص إليها وقبولاً حوائط عليها، فانطلقت تقول:

بينكن صبيبة أغضبت الله ١ وأخشى أن يشملها جميعاً غضبه لوجودها
فيها. أو تعلم أن إثم اقترفت، وإلى أي هاوية من الخطأ أسفنت؟ إنها
أهانت أمها ١١ فاماً حديثاً ووصف إياهتنا فانت في غنى عنه، لأنه موجع

المراة في جالبيها وإسلامها ٢٧:٢.

(١)
مؤلم، وليس لمثلي أن يفوه به. فناة أحجل أن أقرن بين يدي الله إلى صبية آئمة.

هناك أخذت كل واحدة تفتش في ثوبها هل تجد بين حواشيه تلك الفتاة الآئمة، فاما من ذكرت لأمها قبلةً، أو اعتناقها، أو دعوة بخير، فتلك الظافرة المبتهجة.

أما صبيتيما فقد ودعت لو انفرجت الأرض فوارتها بين أحشائها، ولو وقفت إلى ذلك تتلمست المهرب من غضب الله، وإيال الضمير فلا تجده.

أقامت الصبيبة نهراها، ولو أقامته على أنباب الأفاعي نكان أهون عليها وأروج لها مما لقيت. حتى إذا آذنت المدرسة بالانصراف، خرجت وهي تلتفت في كل ناحية، فما كادت تنتهي إلى أمها حتى أرعت مكبةً عليها، تقبلها وتبلها بدموعها، ومنذ ذلك الحين أصبحت أسمى البنات أدباً، وأسمجحه خلقاً.

فيا أيها الماضون في تعليم البنات: وطنا أنفسكم قبل أن تبدأوا أعمالكم، أن تجعلوا الدين علمها الخفاف على رأسها، وأكيلها المشرق فوق جبينها، وكوكها المتالق في ظلمات الدهر، ومدلهمات الخطوب، وإلا فقدتم خلقها، وهو أعز ما يصل به، وهناك لا تجدون العلم إلا مدرجة الشر، وسبيل الفساد).

الانحراف الفكري حول البنات:

وقد أخذ بعض الباحثين على العرب عدم رثاء البنات، وجل أفراد

(1) المرأة في جاهليتها وإسلامها 10:12

-36-
المجتمع ليسوا بشعراء، ورثاء أفراد الأسرة قليل في المجتمع فرثاء الآباء قليل، ورثاء الآباء قليل ولكن أقله رثاء البنات، وليس الأمر بذي بال لولا أن بعض الباحثين جعل من دراسته لهذه الظاهرة دليلاً على اضطهاد المرأة أو ضعف المكانة. فإن قلة الشعر أو آراء بعض الشعراء لا تمثل تصويراً كاملاً للمجتمع.

وهذه من الظواهر الشائعة في الدراسات الحديثة، فنظراً لشعراء مجموعة من الماجني في العصر العباسي لا يتجاوزون عشرة شعراء وهم من الماجنين فجعلهم يمثلون العصر العباسي الأول ويفتحون بالمجون، وهذا ضرب من الميل وعدم المنهجية، وكذلك الشأن في بعض الظواهر الأدبية الكثيرة. وألحوا بهذه «رثاء البنات» ومن أقوالهم في ذلك «ولكنها اتخذت مظهراً آخر من مظاهر الوائد. وهو الواد العاطفي والاجتماعي، فتمكروا موت البنات، ورأوا في القبر خير بعل لها، وخير صهر لأبيها. وقد أورد القیریوینی في زهر الأداب إبياناً تكشف عن رغبة بعض العرب في موت بناتهم واعتبارهم القبر خير بعل نزف إلى ابنه البنات، ومما أورد في هذا الباب قول عبدالله بن عبدالله بن طاهر:

كل أبی بنات يرجى بقاؤها ثلاث، فأصبحن إذا ذكیر الصهیر
فبیت يغطیها ویعل بصنوها، وقبریا ویسارها وکبرهما القبر
وقول عقيل بن علقمة. وكان من أغير العرب:

إلى وان سدودت الى الهجر
الف وسمیتء دنن وکیت مشر

- 27 -
أحب أصبهاري إلى القبر

إن هذين الشعراءين متعلقان بابنتهما فهما يتوجسان خفية عليهما حتى بعد الزواج فلسان حال كل منهما أنه لا ينفك عن التفكير فيها حتى يموت أو تموت فنانته.(1)

ومما يندرج تحت هذا النبابة تعزية ابن الرومي لعلي بن يحيى عن ابنته، وقد رد ابن الرومي الفكرة الشعبية الشائعة التي ترى أن القبر خير بعل للبنت، وخبير صهر الرجل(2) يقول من هذه القصيدة مخاطباً المعزى(3):

لا تبعن كرية أوذعتها صهراً من الأصباه ليخزيكما
إني لأرجو أن تكون صداقتها من جنة الفردوس ما يرضيكم
كما وضمنت الصداق مليكاً لا تاسين لها فقد زوجتها

نجد أن الباحث جعلها فكرة شعبية شائعة ومن أين له البرهان على هذا الحكم، فالشاعرية تشير إلى شيوع الفكرة في عامة المجتمع غير أننا لم نجد إلا عند نفر من الشعراء تداعبهم في التعزية وحسب.

وفي القرن الرابع يردد كشاعم هذه الفكرة حين يعزى الشاعر

الحسن القرواتي، زهر الأدب، تحقيق زيكي مبارك (بيروت، دار الجيل ص 3، 1972، 259).

6. هيدالرمن السماويل، رثاء الزوجات في العصرين الأموي والعباسي من (مخطوط) ديوان ابن الرومي، تحقيق وشرح عبد الامير علي مهتابي بيروت، دار ومكتبة الهلال 1411هـ-1991م ص 145.

28
الصنوبري في ابنته:

أُنْسِي يا بابكر!
لموت الحُبّة البكر.
وقد زوجتها قبلها
 وما كالقبر من صهر.
فانتُهُ أُهُدِيْتُ هَيْهُ
من الخبُر إلى الضَّبَّر.
فُقَاقِبْ نُعْمَةٌ اللَّه
التي أولاك بالشكر.

وَنجُدُّ لِلَّذِينَ أُفْتَكَرُوا فِي لزُومِيَاتِ المَعْرِي حِينَ يَقُولُنَّ عَن الْبَنَاتِ
ضمن قصيدة طويلة: (1):

ولسن بدافعات يوم حرب
ولا في غارة متخبَّتاتِ
وَفَقَّنَّو وَالحوادثُ فاُجعاتٌ
إِلَىِ الْإِحْدَىِ الْمُكَرَّمَاتِ
فَيَا تَلْسَوَاتِ المُتْأَيْمَاتِ
وَقَدْ يَفْقَهُنْ أَزْوَاجاً كِرَامَاً
إِذَا أَمْسِيَنَّ فِي الْمُتَّضَمَّاتِ
بِلَدَنَّ اِعْمَادِيَ ويَكُنْ غَايَرًا

في مثل هذا المجتمع الذي تشيع بين أفراده هذه الأفكار، ضاقت الدائرة حول المرأة، وضاقت المجال الذي يستطيع الشاعر أن يتحرك فيه لرئاها، وقررت بالطفل لضيق الكلام فيها كما يقول ابن رشيق القيرواني ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة: لضيق الكلام عليه فيهما. وقلة الصفات، والقيرواني هنا يتحدث عن سياق أدبي نتج عن سياق اجتماعي رآه أعلاه ملامحه فيما سبق من نماذج شعرية، والسياقان في

(1) ديوان كشاحم ص 71 بيروت، المطبعة الأُسْبَة 1312.
(2) أبو العلاء المغربي، الزُوْمَيَات 157 بيروت – دار الكتب العلمية ط 66 14 هـ - 1986 م.
الحقيقة متلازمة، فالسياق الأدبي كما يقول محمد حافظ دباد صياغة تعبيرية سوسيلولوجية للعلاقات الاجتماعية المتفاصلة والمتبادلة؛ وسبب ذلك أن الشاعر اعتاد أن يرثي الرجال بما كان يمدهم به من خلال وصفات ظلت مقصورة على الرجل مثل الكرم والشجاعة. ولم يعد العربى أن يبيكي امرأة بعد موتها وهو الذي كما رأينا يتنمى موتها ويراه أكرم نزال على الحرم. (1)

والواقع أن الظاهرة لم تشع وتتسع دائرتها، وإنما الذي جعل من الحبة قية هو الباحث وأمثاله، نتيجة لأخذ عينة نادرة أصدر عليها حكماً شعبياً. وأما ضيق الكلام عن البنات فتمثله عن الابن، فقد ظل الرثاء حوله، أما كون الأمر يتسع عند المدح فهذا أمر لا يعود لعاطفة المحبة ولا البنوة وإنما لأعمال المدح التي تقال عنه إن كان صدقاً وإن كذباً. ونحن نجد أن العمل هو الذي يوحي للشاعر، أما الأولاد فتكفي الأبيات أو الكلمات لتحسم الحزن وتشخصه. حتى الرثاء في الزعماء فإن الأبيات التي تمثل الحزن قليلة، وإن طول النفس يتأتى من الأعمال. ويروي الصيروانى بعد ذلك قصة عن أبي العباس المبدر يقول فيها: دخل علينا ابن البهرازي فاشدنا:

لولا أميمة لم أجز من العدم ولم أجب في الليالي حنّاس الظلم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموت أكفره نزال على الحزن
وكانت أميمة بنت أخيه، وكان قد تبناها. فهو كشف عن رغبة، بأنه يهوي موتها شفقة بها عن معاناة الحياة، وما تجلب من تعاسة، ثم غابت غيبة

(1) رثاء الزوجات 7
فسألتاه عنها فاشهد:
لدى صعيد عليه الحَبَرُ مَرْتَكِمٌ
امست أميَّة مغوراً بها الرَجُمُ
علني الحمّامُ فَبِبدي وَجَهِها العَمَمُ
قد كنت أخشى عليها أن يَخْرُها
فالآن نبتي فلا همُ يُؤْرِقُني
هذا العيونُ إذا ما أودت الحُرُمُ
للموتِ عندي أياً لست أَنكِرُها
احياً سَرُوراً وَبِي مَا اتَّى أَنْمُ
وَهَذَا أَشْبِهَ بالأوربي الذي قُتِّل أَسرته كَامِلاً خشية عليهم من قيام
الآخرة في نهاية القرن العشرين فُالشذوذُ الذكيُّ أو الصرع موجود عند
جميع الأمم ولا يقاصل عليه بحال.
ورأى بعضهم أن بكاء النساء عجز يحظ من قيمة الرجل؛ فهن لسن من
زينت الحياة الدنيا التي ذكرها الله في القرآن، ولا يحملن سيفاً ولا يقدن
جيشاً، بل إنهن يُلدُن الأعداء، وبَرَزُنُن أَموالِ آبائهن للآباعد من الناس، كما
أنهن من حيائل الشيطان؛ فهن السبب في خروج آدم من الجنة، هذه
النظرة والآراء البعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه السمحاء نجدها في قول
البحتري في قصيدة يعزي بها أبا نهيل محمد بن حميد الطوسي عن
ابنته، وهي أقرب في مضمونها إلى هجاء المرأة بشكل عام من تعبير تقال
لرجل فقد إبتنه. يقول البختري في هذه القصيدة(1):
اتبكي من لا ينزل بالسيف مشيحاً ولا يَهْزَم اللواء
والفنّتر من رأى القبور ما طاف به من بناته أَكْفَاءً

(1) ديوان البختري تحقيق حسن كامل الصيرفي: 209 القاهرة - دار المعارف.
لسن من زينة الحياة كعود الله منها الأموال والأبناء قد ولد الأعداء قدمًا وورث النبلاء الأقاصي البعداء لم يهتدى كثيرهم قيس تميهم عديمة بل حميدة واباء وشعب من أجلهم رأى الوحدة ضعما فاستأجر الأنيباء واستهل السبطن آدم في الجنة مما أغرى به حواء تلفت إلى القبائل فانظر أمرها ينسب عن أم آباه ونعمني ما العجز عندي إلا أن تبيت الرجال تبكي النساء إذن فإن الانحراف في العواطف أو الفكر أو السلوك لا يمثل المجتمع بل لا يمثل شريحة وإنما يمثل رأياً فردياً. تدفعه دوافعه من أهمها التزية، ومنها تثير الشعراء، ومنها الانحراف الفكري كما هو عند العرقي، وهذه دوافع واهية لا تبرز تطرف الشعراء في تمني الموت للبنات. وقيلة الشعر في البنات هو جزء من حلقة شعريقة ناقصة في الشعر العربي تلك هي الأغراض الاجتماعية فهي قليلة وجلبها نادر، ونحن لا نقرأ شعر النساء لا نجد رثاء للبنات وإنما نجد رثاء أبنائهن وأخواتهن وأزواجهن، ولا نستطيع أن نقول: إن المرأة ليست لها عاطفة تجاه ابنتها(1).

ويقول البجيري من قصيدة أخرى يعزي فيها آبا حسن بن الفرات عن ابنته(2):

انظر: المرأة في جاهليتها وإسلامها - 3218.
(1) بيوان البجيري، تحقيق حسن كامل الصبراطي - 1999 القاهرة - دار المعارف.
(2) - 42 -
ومن نعم الله لاشك فيه بقضاء البنين ومصوت البنات
وعصرنا بل أيامنا هذه تحكي معاناة الأب، من تربية الأبناء، ضميت الأبناء المنحرفين من نعم الله إن لم يحسب الأب الأجر عند الله.

هذه نظرة غير منصفة من الشاعر، فالبنات لهن وظائفهن في الحياة تعادل وظائف الرجال إن لم تتفقها، فالرجل يجاهد بالسيف، وهي تجاهد بالنفس وجهاد النفس أعظم، ووظيفة الحمل أعظم من حمل السيف، وتربيه الأطفال جهاد نفسي، وعطاء روحي، وحنان منتدف وحسن لم يلد الأعداء بل وذهن الأصفياء الخلاصاء، فكان التقارب وال التواصل بالأرحام له دوره في تصافي النفس، وتصافي القبائل والأسر. وكمن من الشعراء بل من الناس من تربي بين أحوال.

والمراة لم تكن سبباً في نزول آدم من الجنة إنما الإغراء للرجل والمراقبة وتعليق جريمة التكفير والهجرة، إنها هي نحلة فلسفيه ثم طرأت بالتحريف على الديانة النصرانية. وهاهم يبكون البنات رغم ما يحييه الشعراء ويتغنى به، فليس من العار أن يبكى الرجال النساء بل يغض أو هو من العجز الفربي عن البكاء وكثير من الرجال لا يظهرون البكاء على أبنائهم ولا على أي عزيز تجلداً وصبراً كما يقول جربير: «كل الأحياء لها جاني استعبار» فالحياء المنطلق من التجلد هو الحاجز لا العجز عند الأغلب.

وأيضا الشاعر الفارسي العربي أبو فراس الحمدوني يجل ابنته، ويرفع منزلتها، ويؤثرها بجبل أغلالها، مع الإشارة بالوعظ فهو يحافظ على سترها حتى في رئيها به، فحين تكون النية تكون من وراء حجاب.
كل الأنام إلى ذهاب
ابتني لا تحسني
لا للجبل من المصباح
ذهب صبراً جمي
نُوحُي عليّ بحمسةٍ؟
فـُرِّي الإنا دايتني
زين الشباب أبو فرا
والشاعر صالح العمري يعارض قصيدة الشاعر نزار قباني (أنا أنشى)
بقصيدة تكشف عن رؤية إسلامية تحفظ للمرأة وظيفتها وكرامتها، وترفع
بها إلى مكانة سامية تجلو منزلته في قلوب الشعراء من أبناء الجزيرة:

انا أنشى:
انا أنشى
انا أنشى

بأوراق مطهرة
بأوراق مطرزة
بأوراق منصمة

وتسقى الحب ترثها
غداة أتيت للدنيا
وجدت الله كرمتي
 وأنزل رحمة حولي

وشمس العطف تنمرها
وقد صبت محاسنتها
فأضحى الكل يرحمني
فتكوني به ضعف

فُسخَد من يد婴儿

---

(1) إيو فراس الحمداني (الديوان) تحقيق إبراهيم السامرائي، 22.
فصرت أعيش في رغبة
منعمة مدالة
ولست أعيش مهما
هاشكو ظلما الزمن
أنا أشتي
فحني أهلي
أعيش كزهرة نبتت
ويفرح إن رأى فرحي
ويحزن إن رأى حزني
ويسكب من مشاعره
صفاء الحب يمطرني
ويسكب من مشاعره
صفاء الحب يمطرني
َ
شقيقى ليس برضيه
واللهو بين كفتيه
وعند الليل يأتيني
بغطينى بخليه
وعند الصبح قبلتهٌ

-- 45 --
لا جمل نزارية

التعليم المعاصر للفتاة:

صاحب تعليم المرأة نشأة الإسلام استهلالاً بخديجة وعائشة رضي الله عنهما في بيت النبوة وتواصل التعليم للمرأة وأخذ العلم عنها فضمنهن العائلات العابدات الحافظات للقرآن الكريم ومنهن من تصدر للحديث وعلوم الشرع وال نحو ومنهن من تحلق حولهن طلبة العلم ويمنهن الإجازات العلمية، وتعليمهن يغلب عليه مع الكتابة واشترط العلماء شروطاً على معلم الصبيان، ومنها أن يفصل البنين عن البنات.

فترة كان تعليم الفتاة له كتابيه الخاصة به، وتبارة يكون محتلاً مع الأطفال مع توزيع البنات في جهة مباعدة عن الذكور وكثير منهم يتواصل مع العلم وحلقاته، حتى الحواري لهن نصيب من التعليم، وكتب الأدب تحكي عددًا من طرائفهن، وتروى كثيرًا من أشعارهن، ومروياتهن من الشعر.

وأما أطول عصر النهضة فبادروا إلى فتح المدارس وأولهن مدرسة (السوية) أسسها إحدى زوجات إسماعيل باشا عام 1872م، ودعا رجال الفكر إلى تعليمه مع التقيد بالحشمة والزي الشرعي، والابتعاد عن الاختلاط يقول حافظ إبراهيم.

الأم مدرسة إذا أعدتها أعدت شعباً طيب الأعراق
ومصطفى الغلاييني ينظم في ابنته فاطمة قصيدة يدعوها فيها إلى

(1) وصلتي صورة القصيدة في 9/5/1442هـ.

- ٤٨ -
طلب العلم ويدعو الآباء إلى تعليم فتياتهم بقول في ابنته عام 1922م:

انا بانت ذات عقل أجل
احفظ الدرس وأسعى
وأطيع الأم دومًا
نهاي روض المركات
من رضاء الأمهات
إفما الخيرات تجنى
في عيد المدينة
إن أكن ذا اليوم طفلاً
فغمدنا بالعلم أرقى
كل من نفسل مثلي
فاجتهدن اليوم تجنين
بإمها العلم سراج
وطرق للمتعلم
والآمني الغالبات
وهو يبحث الآباء على تعليم بناتهم كما يسعون إلى تعليم أبنائهم. فالعلم من حق الجميع وهو يهدب الفتاة كما يهدب الفتى بل يؤدي إلى رقي

الشعب والمجتمع:

أيهم الآباء يا أهل
الي فراق بين فتيان
أخلاق الفتاة
هنداب بالعلم والأدب
وأنيروا بالهداية أباب

- 49 -
ليَسْ يَرْقَى الشَّعْبُ إلَّاً بالبَنَات الصَّالِحَاتِ

وفي جل العالم الإسلامي تخصص مدارس للبنات ما بعد التعليم الجامعي فإن جل البلاد الإسلامية والعربية يكون فيها التعليم الجامعي مختلطاً ما عند المملكة العربية السعودية التي لم وتختلف فيها أبداً وكذلك جامعة الأزهر فإن البنات كلياتها الخاصة، وبعض المدارس الخاصة، وكذلك ما طرأ على التعليم في بعض البلدان الإسلامية.

تعليم الفتاة في المملكة العربية السعودية:

القضية التعليمية استحوذت على عقول الكثير من الأدباء في بلادنا، قدموا إليها، وظروا لها، وعالجوا مشاكلها، ورسموا خططها في مقالات متعددة. ومن ذلك تعليم المرأة، فقد طرح الأدباء الفكرة في وسائل الإعلام.

فهذا أحمد السباعي ينادي بتعليم المرأة في مقالة في كتاب صدر عام 1355 هـ. ويعالج القضية بقوله:

"يتطاول بعضنا فينادي بالشبور، ويصم أنصار الفكره بوصمة التفرنج والحروج على الدين. وينسي أن مبادئ دينه فرضية العلم على المسلم والمسلمة، ثم خنات تلك الصفحات من التاريخ المضمرة بأغضاء خطب السيدات العربيات المسلمات المتعلمات."

ويقول: "وتزحل قلوب فريق عندما تحدثه عن مدارس البنات كأن بدعا من الأمر أن يكون للبنات مدارس، وما مدارس البنات سوى كتاتيب الفقه (الفاتحات) القائمات اليوم، مع تمييز في طرقها المتلية، وأساليبها،

(1) الديوان 424.

50 -
وقواعدها الضاربة في الفوضي إلى أبعد حد، وسن مناهج جديدة تدرج بالعقل فترية تربية صحيحة، وتعده لتتهم مبادئ الإسلام على حقائقها، ومحاربة الخرافات والخزعبلات... ومن ثم تهيئهن للحياة العائلية، وتعهدن لسياسة البيت، وتخصصهن في أصول التربية القائمة على أسس من المنطق والعقل(1).

وأمين العقيل عالج قضية التعليم كاملة وطرائق التدريس والمناهج(2).

وقد بادر الكتاب والشعراء، إلى الدعوة إلى تعليم الفتاة ومن الشمراء عبد الله بن خميس وحسن سراج، وإبراهيم علاف، وكلهم خاطبوا الملك فهد عندما تولى وزارة المعارف، فدعموه إلى افتتاح مدارس لتعليم الفتاة.

يقول عبد الله بن خميس:

يا نصير العلم هل من شرفة
إن خبيثاً انجبت أو طيبة
فتعال نزل الأمة تدريس
فمعاذ الله أن تبقى بنا
وإذا ما تفقت: فتيانتنا
وإن بري كل يقاسي دهر
ويعيش النشاء فينا عرضا
كيف يرضى عائلة جاهل
نقلب البيت جحيماً ملهم
إن ينالوا العلم ضلوا الأدب

محمد عبدالقصود، عبد الله بخير: وفي الصحراء 95، 94، 93.

انظر: المرجع السابق 138 وما بعدها(3).

- 51 -
وهو يدعو إلى الالتزام الشرعي، وإلى تعليمها العلم المفيد لها ولأولادها، ولتحفظ دينها، ودنياها وتنجح بالأخلاق الحميدة، وتتقن الأعمال الصالحة وتكون ذات وعي ودراية.

لا أدعو لأن نخرجها
لتحاذي بالرجال المتكب
هتكت بين الرجال الحجب
أو تنادي بمضوع أو ترى
إنما الإفراط فيها خلل
وقد التضييق في ما وجب
شأن من يبغي التصدى أم أبي
سنة الإسلام فيها وسط
بن سليمان الدين من أدواته
هنا نصيحة أطلقها
لا يرثى النشأ إلا حاذق
وأستاذ الدكتور محمد بن حسين يمثل نظرة أبناء الوطن للفتاة فهو داع إلى تعليمها، لكي يكون لها سلاحاً للمستقبل، وهو جمالها الحقيقي، ومع أنه شهد بداية التعليم في بلادنا إلا إنه لم يقتصر على مراحله الأولى بل يدفع أبنه إلى مواصلة التحصيل العلمي، ونيل أعلى مراحله. ويدعوها إلى التأدب بأدب العلم، وملمحة مدارسها، وحسن الاستماع لهن، فهو مفتاح العلم.

وي曾經ها لتكون أم المقبول
أبنيتي علم الفتاة سلاحها
ويزينها وهو الحلال، وهي الحلي
فإذا انتهى علم وخلق فاضل
سحبت تلك الدنيا بكل مؤمل
(1) على ربى اليمن 56
العلم والأخلاق ما يوصي به الأولاء، أو أخراز ما مفتاحها أبويتي والعلم ما مفتاحه معلمتي. فلها أشكري ولها أطيعي دائماً. اتبعتي لا تغفلي عما بها فخذي علمها لا يفيض نميرها وأنا أراك تجبيبة تواقة للعلم فاسعى نحوه وتجمل أو تتركي فرص النجاح الأمثل.

والأب بعد انتمتهك تحل منزلة أم المستقبل، فهو يحرص على تربيتها وتوجيهها، والتعاون مع مدارسها كي تنال من العلم أو تكسب الأخلاق الحميدة، وتستعد للتغلب الحياة المستقبلية يقول الدكتور محمد بن سعد بن حسين:

يا ذهيرات فصول المعهد، بأملية الوقت نشاطاً تبحيدي، إن للعلم حياضداً أشرعت، والمزمي الأخلاق فالأخلاق خير وتحلي بالعفاف تسمدي.

(1) أصداء وأنداء، 99هـ. 53
فاسمي النصح عسي أن ترشدي
أمهات الجيل أنتن فضان
هذا طاهر زمخشي (3) يصح بشعر في مستهل تعليم البنات
بقصيدة:
من وراء الخمار المع نورا فاض بين السطور يجري نميرا
في (حراء) الغراء في الأمل المند بركاء
الرقبة أهدى إلى الحياة بكورا
والبواقي في الملاءات لفتت
فقدا من الخراب حورا
سكتة حرب تخرس الورق
ومنها الصدى يروي البحورا
والقوافي مرجعات ما اتقن
ساحرا ورونقها ويهورا
فليس النغمة المظهر بالاحتاجاب وإنما غاية التعليم أن يشرعن في طلب
العلم النافع ليبعد عن ويبكر، ويتزين بالأخلاق الفاضلة، ويجتنب المظهر
السبيت في نمو الوعي، والعقل، كي تختار الفتاة ما يلائم دينها ومصلحتها
وصالح مجتمعها، كي تمارس حياتها المنزلية بوعي وعلم، وقدرة على
التدبير المنزل، وأن يكون لهن دور في الحياة، ينتمي إلى دور أسلافهن من
نساء الصحابة ك까شبة وأسماء، فقد كانت أسماء ذات النطاقين لها دور
كبير في أفخاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم عند الهجرة.

المراجع السابق: 98، 127.
(1) ولد عام 1232 هـ، مكة المكرمة، شاعر صدر شعره في مجموعات شعرية، من شعراء المملكة العربية السعودية، نال جائزة الدولة التقديرية، مات عام 1474 هـ. انظر: الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي: 127.
من وراء الخمار ألح إشعاعاً أعاد الماضي إلينا منيراً

مشرق الصفحتين يذهب بمن قمن بناذس بالعلوم الذكراً
ما تزين بالذي يكسب الإمّ موجوناً وبيصرأ وغوداً
بل تحلين بالذي يجعل الدور جناناً والمحصنات بدراً
وتنطقن بالذي زان اسماء فكانت أولى الشموس ظهراً
عرفت دورها الخطير وأدتها فكانت للصاحبين نسيراً
تتوقي العدة قد أشهروا الموت وتخطوا على القتاد وثبراً
ثم تمشي للغار في قمة التل، وتجتاز بالشبء الوعوراً
تحمل ازداد للنبي وخدن عاش بالحب عند طه الأثيراً
وهو أصل لها فأكرم بضرع طاب من الجنين وطابت جذوراً
والحماراء اختها، وهم الصنووان ظهروا وعففة وعوبيراً

وتعليم الفتاة أستهل رسمياً عام 1380، ولم تهيا للاستحاق بالجامعة إلا متآخراً؛ لقبة المتقدمات لها، مما جعل الشاعر محمد المغربي (1) يبعث بابنته أميمة إلى جامعة كاليفورنيا، والقصيدة تفيض بوجودن الأدب، فهي بعض من القلب، بل هي دائمة الحضور:

(1) مجموعة النيل 497.

محمد علي العربي، ولد بجدة عام 1332، رأس تحرير (صوت الحجاز) اتجه نحو التجارة والأعمال الحرة، له مؤسسة ضخمة، وله نشاط علمي منها التأليف عن (أعلام الحجاز) في ثلاثة مجلدات، ويكتب الرسائلات مات عام 1417، الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي 134
استودع الله ما أغلى وديعته
لم يعرف البين ثم يخبر مواجهة
فالرقة وله ملء الملأين رضاً
هذا القلب الذي يتوقع وجدأً على ابنه، والذي تنقله غزنتها وبعدها،
وأما تحمله من إرهاق، وما تناهي الفتى البعيدة عن والديها. فهؤلاء الآيات
تمثل قلب الأب المشفي على ابنه، ولولا الأمل الذي يعده عليها لتكون
رائدة لبناء جيلها في ميدان العلم لما بعث بها إلى تلك الديار النانية وهو
يوصيها بتيقى الله وطاعته، والمحافظة على إيمانها وسلوكها.

كم نازح وشغوف القلب مسكنه
وا من تحملت منه بعد فرقتة
لو كان يحملها قلبي ونشفته
هذا الدعاء، لباب الله نرفعه
تهدريك في الدرب عييناه وممسمه
JSONArray لك بالتوفيق أودوه
تقدوم يمناه بماناك وراحته
فلا تراعي وعين الله ساهرية
يا زهرة في رياض الدرس ناضرة
عببي من العلم أروي من مناهله
فؤاده الحر - إن العلم ينضعه
لنهبة من بنات العرب مشرعة

- 56 -
فتح بأرضٍ إشارةٍ وسماً

فتهتت إلى أخشنٍ أمتكم

من الضياء تهدينّ مطالعه

الدين والإعلام والأخلاق أعمدة

فاستمسكي بعمود الله واستبقى

في أول حياة تعليم المرأة كان هناك انفعال قوي، عملت وسائل الإعلام - لا سيما التمثيل منها - على بروز هذه المغالاة، فأخذت تلك الوسائل ترسخ فكرة الجامعة أولاً، ثم الزواج ثانياً، فأخذت الفكرة تتغرس في نفوس الكثير.

يقول إبراهيم خليل علاف:

وشكة التخرج
تنأى عن التزوج

بكرها حقيقة

رتبة التدرج

بصبرتها المموج

كتفيلة ملهمة

هي الرياح موكبا

قد عف وأمر

والبيت يغطيك حسنا بضعة

واملت صاحبة التخرج

تسلمت بأدبي

أجملها من طبيعة

فيها الحياة حالما

والطهر هبه شامخا

وتصور:

النيل، للسنة ۳۵ م ۳۰ جمادي الأولى ۱۳۸۹هـ ص ۷۰۸.
ما أنت إلا واحة
محاطة بعوسي
ازهارها أشمـها
تعصب على التدحرج
متوفرة مذخورة

فنحن لا نشك في نزاهة الجامعة، ولا ريب في ذلك. ومن الأفضل أن تتاح لها دراسة منفصلة، وفي كليات وجامعات تجعل تدريس المرأة منفصلًا. أما إعجاب الشاعر بإعراضها عن الزواج، ذلك في عام 1381هـ.

في مستهل التعليم، فكان نتيجة ذلك أن برزت ظاهرة العنوة لأن مجتمعنا يحرص على الزواج مبكراً، والجامعية لا تنتهي دراستها إلا بعد أن تتجاوز العشرين، الأمر الذي أوجد عدداً من العادات.

والذي أراه أن لا تعارض بين الجامعة والزواج. فالأولى أن الفتاة إذا بلغت سن الزواج فعليها أن تتزوج من يرضى وليها دينه وأمانته، مع المحافظة على مواصلة الدراسة. أما إذا وقفت مواصلة الدراسة في طريق الزواج فهو أولى.

وقد طرحت القضية على يساس البحث مارا في الصحف المحلية، فهم من يرى أن سبب العزوف عن الجامعيات يتأتى من جانبين؛ لأنهم يرغبون في الكفاءة الثقافية، ولأن نظرة التعالي عمن لم يحصل على مستوى تبتور في أذهانهم.

لكن الواقع يثبت أن هذه حالات فردية. لسنت بشاعة فقد أقبل الشباب على الزواج لكثره المتكافئين ثقافياً، ولأن الجامعة لم تلزم نفسها

الديوان: 333
58 –
بالجامعى، للوعي الذي تنامى في المجتمع. وفي سائر الأحوال فقد أخذت
المرأة السعودية على عاتقها القيام بالعمل التعليمي للبنات في جل شأنه،
cالعمل المنزلي، والترفيهية. فالقدرة على الوضاق بين هذه الأمور هي تلك
التي تنازل الحياة الزوجية السعيدة.

ونتيجة لهذا الوعي وتأخير التأهيل الجامعي إلى ما بعد العشرين فإن
كثيراً من الفتيات يتنزون في المراحل الجامعية الأولى ثم يكملن دراستهن،
فتنصرف بالحسينين معاً.

والشاعر الفيضي (١) يصور لنا حياة الطالبة التي انتهت بالدرس
والتحصيل بافتتاح رئاسة تعليم البنات عام ١٣٨١هـ، وقد دأبت على
موصلة التعليم في مثمرة وجد، وأخلصت لطلب العلم، في عفاف وظهير،
وهو يوضح روح التنافس والانتماء إلى الدين والعادات السليمة:

 hizoحلا نـالـبـنات
فـآتـت بـالـعـجمـات
رـغم كـل الـعـقـبات
بـالـجهـود الـخـلـوات
ـقـطعت شـوـطاً بـعـيداً
ـقـالت الـجـهـل سأـرمـي
أـطلب الـعـلم بـعـزمي
واـذا أـهـمـلت يوـمـيًا

(١) علي بن حسن الفيضي، شاعر يعمل بوزارة الدفاع. من مؤسسي نادي الطائف الأدبي، صدر
له: أجراس، رحلة العمر، وأزهار، والتكريت، وزائر الليلة، انظر: معجم الأدباء والكتاب.
ومضي وقت هباء
وسناء المبصصات
 دون أن أهتم بالقدر
فهو يشير إلى فضيلة تعليم المرأة فقد كانت ت قضي وقتها في ملل أو سماع له وطرب، لكنها اليوم تحرص على تنظيم وقتها، فهي تثابر على حل الواجبات المدرسية، وحفظ المطلوب حفظه ومعاودة المادة من أجل الامتحان خشية الإخفاق الذي يهز كيان الفتاة وأسرتها. وما أشد وقعه
عليهن 16، وكذلك تتعلم أمور دينها ودنياها يقول على لسان أبيه:

واتي يوم امتحاني
في عداد الراسبات
وتبت غيابي وعيدي
إلى الأم والأخوات
ورأيتها العزوضة
وجوزة رحيم في وجه
أي معني الوحيد
قمعة للطلابات
غير أنني سوف أبقى
ناراً ظلاني
من خيار الاضتيات
وأخلاقي وعلمي
وأخلاقي وابتعادي
عن جميع الشبهات
نسام في كل الجهات
الفيفي: رحلة العمر 19.
وهو يدرك أن العلم ينمو بجانبه الخلق الفاضل، الذي يقوم على الحياة والعمل الصالح والابتعاد عن الشبهات، حتى تحظى بالتقدير والثناء. قيلت هذه القصيدة بعد أكثر من عشر سنوات من بداية تعليم البنات، وبعد أن رأى الشاعر معالم نهضة التعليم في البلاد. وقد اقتنع الجميع بتعليم فتياتهن، وإزدهرت الأحياء بالمدارس. والآن تتزايد مدارس البنات من الابتدائية والمتوسطة والثانوية في أحياء المدينة والقرى في تصاميم مطابقة للعمارة الإسلامية. وتنظيم يمنع الاختلاط، فلا تخرج الفتاة إلا مع ولي أمرها. ويتنفر من الرئاسة وكالة الكليات، التي افتتحت عدداً من الكليات في مدن المملكة أشبه بالجامعات الصغيرة. وهناك عدد من كليات إعداد المعلومات أيضاً إلى جانب التحاق الفتاة بالجامعات في أقسام خاصة بهن.

ووصف الشاعر صخب الأطفال في المنازل، والتنافس بين الأخوات، وما يثيره ويزعج إلى الصراع والتنافس، ثم يصور حالتهم في الصباح عند الاستعداد للساعوات، فهذه تُسرِّح شارحاً، وهذه تبحث عن حذائها، وهذا يشتم أخته وغيرها مما ينبهر منه الأب والأم في حينه لكنه يستلذ به. بعد ذهابه يقول حمزه شحاته:

وقلاآ، ونقابي، وأطفالاً،
وحرصاً، بين الصغار غدٌ
أخذت كتابي ضيّعت قلمي
لم يعتمد، ونحن لا ندري

(1) الديوان 238.
فإذا الصباح أطلَ خصناها
هُدى تقول: حداؤها ضاعاً
وتصيبُ لبنِي: لم أجد قلمي
فتجيبها نجلا بدمعتها
ويدعو فلُك أجد كتبي
وأهُل البيت في الطلب
فإذا انصرفُ تقوم معركة
والشاعر إبراهيم السبيل يكشف عن أسلوب التربية التعاوني بين الأسرة والمدرسة فإنه يؤدي إلى تكامل الرسالة العلمية للأولاد: "هؤلاء الأبيات كتبتها تعليقاً على تقرير أبنتي هناء عن مستواها الدراسي في الصف الثالث المتوسط عام ٢٠١٨ه.
البنّت تسعد بالعلوم وتعَّاون بيتها،
فإذا تعاون بيتها تحققت غاياتها
وإذا تضافرت الجهود تكاملت درجاتها
وهناء في تلك الجهود ومن هناء دعواتُها
فالشكر مبني للجميع
والسبيل يصور تعليم الفتاة خارج الوطن عندما تُجبر على ذلك مع أبيها في عموه أو مع زوجها في بعثته فإن اللغة تعترضها، والحجاب يزيد غريتها

١ إبراهيم السبيل، نقوش على صفحة المجتمع، ٩٦.
بين السفور في تلك البلاد، يقول عن ابنه وفاءً: حين دخلت مدرسة اللغة:

- خرجت وفاء بسرعة.
- وتكعمت بحجابها.
- كم أعجبت من حولها.
- قد خذرفوا من خوفهم.
- وبدأت عليهم وسوسة.
- وبهجة متحوسة.
- قد كان بدء كلامها.
- شملت مثل الريسة.
- إن خوطبت من بينهم.
- مفتوحة ومدرسية.
- عند الجواب شفاه.
- لكنها والحق أضحت.
- وتطورت بحدينها.
- فتحيتها ما أسهل.
- حتى استحققت أن تكون على الجميع الرضح.

واحمد شوقى يرى أن العائل المشرس محارب مما جعله يدعو ابنه لحمل البندقية وأن تتعلمو وقت الحاجة إليها لترفهما في وجه العتدي:

ولى طفيلة جازت السنتين، وبصيرتين في مثل لون السماء.

(1) حصلت على درجة الدكتوراه، وهي عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(2) ابراهيم السبيل، تفوق على صفحة المجتمع 106.
أنتني تسألتي لصبية
فقلت لها أيهذا الملأ
ولكن قليك خباً المسيح
فلا ترج سلماً من العالمين
ومن يفعل ظفار بين الذين
فإن شئت تحيا حياة الكبار
فخَّذ هاك (بندقية) تارها
لعلك تألقها في الصباً
ففيها الحياة لن حازها
وفيها السلام الوطني البناء
فلوَبل مَمْسَكة مَّفْصَرًا
أتباها وما النطق في وسعها
تقول: عجيب كلامك لي

وحب السلام بها أجد
ولا بتفتيه ولا تامّر
ويرب أخضته يغمر
وفالكتب في صفحة تنشر
وبالآخرين وما أخروا

لوبيل: اسم تقلله أمينة: نوع من البنادق سريع الطلقات كان له شهرة قبل الحرب الحاضرة.
(1)
لينهض ما بينهم خاطياً
ويقول السلام، يحب السلام
وينص العباد فلم يصرعوا(1)
والذي ينبغي أن تكون الفتاة على منهجية عقلية قابلة للتغييرات
والتطورات فالدنيا لا تدوم على حال، فإذا ما توجست الفتاة للغيب، وعدت
العدة لها فكرياً وعملياً فإن ذلك يخفف الصدمات، وياخذ بها إلى شاطئ
الأمان فلتذكر في الرخاء لأيام الشدائد، ولتشجع لها مدخراً بعيداً على
صروف الحياة.

الاتجاه الفكري حول تعليم الفتاة:
أخشي مما أخشى أن ابتنتي العاصرة لا تهدي إلى سبيل الحياة السليمة
نتيجة للغزو الفكري العاصر الذي يزرع في كيان الفتاة وعلقها ما يسمى
بتحرير المرأة وآخذ حقوقها وتلك الأفكار تجعلها في صراع مع الرجل
فتدري بالحياة إلى التضاد بدل التقارب والتساء والتكامل، لأن فكر الصراع
جعل الرجل ضداً لها، وليس الأمر كذلك بل إن الرجل هو الذي دعاها إلى
آخذ حقوقها المشروعة وبدلاً لها طاقته سوء كان مسؤولاً أو آبأ أو خاً أو
زوجها. وهناك منحنى دقيق ومهم هو إن الإسلام لا يقف في وجه حقوقها
الشرعية والإنسانية، وإنما انحصرت مطالب الحرية في السفوح، ومخاطر
الرجال، وكثير مما يتعارض مع الشرع مع أن ميادين الحرية الإسلامية
كثيرة لها تأخذ بحقوقها وتنصفها، وتؤمن لها الحياة السعيدة التي تصور
الأثاث الضرورية لها من الدين والحفاظ على النفس، والمال والعرض،
وتكون معتدلة في الضروريات والطيبات، مما يزيدها بهاء وجمالاً ولا يؤدي
إلى الإفراط ولا يجعلها دمية تسر ناظر الرجل وحسب، حتى إذا ذوي ذلك

الشيوخ 4: 79.

(1)
الجسم بجماله استidelbergه بغض ظروف جديد. وعاشت العرضة الأولى
مأساة الفراق والحرمان، والإعراض عنها، تماما كحارضة الأزياء.
ولا ريب أن الصراع مبني على فكر باتلم لم يعمد إلى توجيه رباني، إلى
عقلية واعية تتطلب من التكوينات الخلقية والخلقية للرجل والمرأة. فتحمية
التكوين لها ارتباط بوضيفة كل من الرجل والمرأة.

وحتمية التكوين تتحتم على المرأة أن تكون روضة روحية ونفسية وأن
تكون هي بانية الحب الشامخ. أن تكون نبع الود، أن تكون هي نبع الإشراق
والبشر، ليس لزوجها وأولادها فحسب وإنما لراحة ذاتها وسعادة حياتها.
ولو كان يستفعى عن هذا لاستغنت عنه المرأة المتحررة الغربية: لكنها تتناقش
في كيفية الهيمنة على لب الرجل وسلب عقولهم والاستحواذ على أموالهم
ولكنها عند كثير منهن في سبيل النهية والضياع في سبيل غويا الشياطين
لغزية مادبة أولاً وشهوانية ذاتية محدودة بزمانها ومكانها، فلماذا لم تُروض
الفتاة المسلمة كي تجعل من هذه الينابيع الخبيثة فسيل الخير لزوجها
فتسعد وتسعد في حياتها الدنيا والأخرى، فإذا ما أخذت بجماليات القول
والملبس والطبيع في حشمة إسلامية فإنها ستكون نجمة الأسرة بل المجتمع
من حولها.

إن انحراف البشرية لا يبرر الاندفاع وراءهم، فهناك القيم الإنسانية،
والنموذج الرباني أولى لكنهم أعرضوا عن التعاليم السماوية، وابتدوا عن
الاعتدال في تلبية الغرائز الإنسانية.

فالانحراف الفكري صحب أكثر المفكرين من الغرب لأنهم يبحثون
بعقلتهم التي لا تنتهي إلى صواب الغابر القديم، وينظرون إلى القادم
بمنظور الواقعي المعاصر الذي طرأ على المجتمعات وتناضرب مثالاً بالزواج
فهو توجيه رباني صحب آدم وحواء عليهما السلام وتوارثيه الأجيال من
بعدهم لكننا نجد المؤرخين المعاصرين الذين استمدوا أفكارهم من الغرب
يشترون إلى الطولومة ويسورون أمثالاً بسمميات النساء اللائلي ينتسب إليها الأفراد أو الجماعات، وهذا ضرب من الخيال والتأويل الخاطئ فإن الكثير من العرب وغيرهم ينتسب إلى والدته إذا كانت مشهورة، أو هي التي قامت بتربيته لموت الأب مثل أبناء مارية من الفساسنة وابن تيمية وابن الحنفية وغيرهم وقد كان لنا عدد من الأمثال في سائر المجتمعات فكم من ينسب لأمه نظراً لإقامة لها بل إن بعضهم ينسب لاخته وهذه النسبة تدل على مكانة المرأة في الجاهلية الأولى والإسلام.

إن الحب الذي تغمر الأم والأب الأسرة فيه وينجلي في الاستجابة لرغبات البنات والبنين، فهم أكبادنا تمسي على الأرض، وهم ضابتنا في حياتنا الدنيا، وهم غريتنا التي نرعاها ونحمل أمانة إصلاحها، إن هذا البذل المزدوج هو حب وعقمار، وسلوكي وعماداً من الأباء والأمهات إنما هو غرس في النفس ونهاة للمقول يأخذ بها إلى مناهج الفضيلة، لكننا نخشى أن تنافسنا على ثمرات حياتنا وأولادنا الاتجاهات المتحرفة التي عصفت بالحياة الإنسانية جميعها باسم حرية المرأة وإنصافها، فلا نجد مع سخاء البذل اليوم مردوداً عاطفياً ولا مادياً متكافئاً، بل نتفقد الحنان من كثير من الأباء في نكران وجدوع مع أن ما يبذل اليوم متواصل حتى يكاد الفتي والفتيان أن يتجاوزوا مرحلة الشباب، فالشباب ينهل من جهد الأب والأم وكثير منهم لا يدرك كنه ذلك، ولا يحاول أن يساعد الحب بالحب، والبذل بالبذل، أما في العهد الغابرة فإن الأب ينال خيراً من أولاده مبكراً، والحب والولاء يتجسد في الطاعة التي لا يشبها التبمر والجفاء مع عميق اللواء للأم والحماية لها.

والإسلام والفرد المسلم لا يقف في وجه حرية المرأة الحرية الشرعية التي نبتت من توجيه خالق البشرية الذي هو أدير بمصلحة عباده، والفرد المسلم لا يقف في وجه إنصاف المرأة من ظلم المستب الساء: بل يكون معها
لا عليها، وأكثر الداعيات من مثقفي أجالينا يدعون إلى هذه الحدود، ولكن علينا أن نحذر من التجاوزات الشرعية والسلوكية.

إن الفتاة في بلادنا مضرب مثل في الصلاح ذلك بفضل الله ثم بعزيمة الدولة الإسلامية التي رعت البناء للتكون الاجتماعي، ونحن لما نندبر أمرنا نجد أنها في خير وحتملها فاتعلم الحصان آبائها مفتوحة، وقد رأينا بنات مجتمعنا وقد حصنن المعرفة، وثمار العلم واضحة للعيان فالمقي والصلاح، وقفة الجريمة والتزام الفتاة بمبدأ الشرع الإسلامي. كل هذه جعلت نفاستها تزهو بمبادئها وبحقائتها وبمقارنتها وبدعوتها إلى الله، وبناء أسرتها، وغرس الفضيلة في أولادها وتألمتها بل هناك دعاة للخير والهدي، وهناك نساء لهن دورهن القيادي في الخير وبناء الجمعيات الخيرية والقيام عليها، يرأفن بالفقراء، وبواسيس اليدائي والمساكين. كل ذلك بجدها بل من مقابل بل بما تبدله بسخاء من مالها.

كل ذلك ثمرة التمسك بفضيلة الالتزام بشرعة الله وبناء المجتمع الإسلامي دور فعال فكل ضرر من رجل أو امرأة وشايب أو شابة معرض للخطأ وارتكاب المعاصي فلا مشروط إلا من عصم الله وهذه وسيلة اختبار ربانية لكن كل فتاة وفتاة وكل رجل وامرأة يدعو الله أن يعينه على اجتياز سبيل المعاصية وهذا ما يعمل له المجتمع الإسلامي بل حتى الفرد ذاته ولأسرته: فلا خلود، ولا طول محاكمة، ولا سفر للفتاة منفردة، ولا سفر، وهناك العقبات للفتيان والرفقة من رجال الحسبة.

وتنتهي بخاتمة عفيفي لكتابه عن المرأة فقال:

"لقد خلقت المرأة لتكون قوة من قوى الوحي والإلهام في نفس الرجل، فهي كالروح السارية تحرك الأحياء ولا ترى، وكالفجر المنير يضيء الشعاب ولا يمس، والكهرباء الدافئة تملأ الوجود ولا تدرك. هي خلق قوام حياته الجود بالنفس والفناء في سعادة الجماعة واحترام الأعلام المضنية والأهوال..."
المروعة في راحة الزوج والولد، وهي كعود التقاليد ينشر الضوء في كل شيء ثم يحدث ذلك. تلك هي المرأة التي جعل الله السعادة بين شفتيها، وجعل الجنة تحت قدميها، وفرض لها من الطاعة في رقاب الأبناء أضعاف ما فرض للآباء. هي سر عظمته الأمه ومبشع قوتها ومشرق صفحتها وسعادتها. فإذا تتكبت تلك الحجة وانحرفت عن هذا السبيل فبارك على البيت والولد وانكشف في المجامع والأندية، وانغمر في اللعب والشباهية، وراح تعلن عن نفسها بشقائق القول وفضائل اللسان. فهمانك الويل والوبال، وهناك الفناء والدمار. أولاً نقل إن مثل ذلك كان في بلاد المدينة الحديثة. ففي تلك البلاد خبر وشر، ومن شأن الجسم القوي أن تقاوم قوته ما قد يلم به من ضعف وفساد، فهنالك الخبر يبطو الشر ويعمله، وهنالك نار الجدّ تنفي زيف الله وتحيله. على أن كثيراً من كتاب تلك البلاد ينظرون إلى ما أصاب المرأة من شرط وانفراج في قوته. إن هذا انتصار للعمر سريع الأجل! فمَا بآل إلى يأخذ بتنبّ الشر ويترك الخير، فالحياة عنده لهو وليو ووضحة وإعلان.

أما فليس علم القوّة أن المرأة قطع الحياة، فإذا استقام استقامت، وإذا تمثال اندخت، وما قواته إلا الدين، فهو الأساس الثابت والبناء المتنين(1).

وقد خرجت الدواوين الشعرية الشعرية بتنمية القيم الإسلامية في بنات المجتمع، والقربيات أولى بالعرفان، فهذا الشاعر الباحث المثيري له أبحاثه المتواصلة في أدب الطفل، وله شعر كثير يدعو إلى القيم الإسلامية. وقد استحوذت نباته على كثير من إبداعه الشعر؛ فخصصه بديوان (أغاديد شذا) ولا زال مخططاً. وهو يوظف الإبداع الشعر لغرس القيم الإسلامية النبيلة يقول فيها عن ابنه (عزيزة):

(1) المرأة العربية في جاهلتها وإسلامها: ١٥٨ - ٦٩ -
عظيماً جميلة
لهمذاذ باء باهر
تعودت منذ الصغر
وقد رضيتها أمها
فاتصفت وقد سمت
من أجلها قد أكرمت
فهي التي سعت بها
وهي التي ببهدها
لله ماماً أروى بها

وهو يستنطق الفتاة المسلمة، وذلك أبلغ من التوجيه المباشر مع الخير فيهما.

مسلمية والعزم شعاعي
وياجلل راسي إصرارا
وكأنهم الأكوام الساري
أناقق كأنور جمالا
بحيح بروح الوارثين
كتاللو أحياء أسراري
ويقيني بايه البهاري

(1) مني بنت محمد القامي، شعر الأطفال في الأدب السعودي 442 (مخطوط).
(2) مني محمد القامي، شعر الأطفال في الأدب السعودي 412 (رسالة علمية).
صورة البنات في الشعر العربي

• الولادة.
• الطفولة.
• محادثة البنات.
• زواج البنات.
• مشاركة الأباء لهن.
• الرثاء.
مدخل:

الشعر فيض الأحاسيس، وتدفق المشاعر يحمل وجدان الشاعر ليتواصل مع الكون من حوله محبباً له، سواء كان الشاعر مادحاً أو قدحاً، فما التعريض بالشعر إلا طلباً لمساك الحق والكمال.

وقد جسد شعر الآباء في بناتهم صفاء الحب، ونقاء السريرة، وتعانق الود والتآلف حل محل الشعر لنا بهجة الآباء ببناتهم، زمن الولادة، وفاض بالسعادة الغامرة واصفاً المداعبة والملاعبة، وتألق بالأنس في المحادثة والمجاسمة ومجاذبة انفاح، وصور الشعر البنات رياضًا يدلف الآباء إليهن حين تكفر الحياة أمامهم.

وأشرق بالحبور والسرور في بهجة حفل الزواج ومسرح الطرب والفرح، ووصف لنا انكماش الأبوين بانتقال الأبناء الحبيبة إلى الحياة الزوجية الجديدة، وخلو البيت منها، واستشعر الشعر أفقال الحياة التي تلوح في ضباب الحياة لبنتهم، وروعنا الشعر بماسي البنات في أمراضهن وغريتهم، وشارك الشعراء بناتهم المصائب التي تداهمهن بفقد أولادهن.

ثم استبناكنا كثيراً شعر الرناء للبنات حتى إذا لم نر شعراً يحمل حزناً أصدق إحساساً من لوحة الشعراء على بناتهم، فإذا أردت أن تشتف إذن بك بأصدق المشاعر، فاطلب رياض الشعر في البنات، وسأنشأ بيوتها القارئ والقارئة مع الشعراء حين يسعدون بولادة بناتهم، وحين يلعبونهن، ثم تأسن بمحادثتهن وتشاركهم أفراحهم مع بناتهم، وتحزن بحزنهم في مصائبهن.
الولادة:

إن ولادة البتة في مستهل الحياة الزوجية أمر يوحي بالخير والبركة.
فخير النساء من تكون بكرها بنتاً. والبنت عند العرب لها مكانة، فهي تخدم أسرتها، وهي تنشر المرح والمداعبات وتجمع شمل عائلتها، وتعلق بها قلب الأب، ويكنى بها. فتحت المكانة كبيرة لهذه هن من بنت عتبة أثيرية أبيها حتى أنه يأخذ برأيها وترك لها حرية اختيار زوجها، وهذه المكانة عند أبيها، وهذه الأثراء غرست في الفتاة القيم ونمت الفضيلة، وصانت الشرف مما جعل عليه القيم يتوافدون لخطبتها، وقصص العرب يحكى لنا أمثال هذه المكانة، وكون الشعراء القدامى لم يعبروا عن انتهاجهم لا يمنع الابتهاج الشعبي بها والشعراء أيضاً لم يهتموا بسائر القضايا الاجتماعية واندلاعوا عنها وربما ضعف كثير من الشعر الذي يمثل هذه الظاهرة.

ومن غرائب الحوادث أن والد الشاعر أحمد شوقي كان يعاني من سكريات الموت وزوجته كانت تعاني من ألم الولادة، وهو يطفو بينهما وفي الصباح يموت والده، وتدت زوجته أبنته (أمينة) وهو يأمل قدرة الله وتقديره وتسيير وللبنين يقول في هذه الليلة التي وردت فيها أبنته (أمينة):-

يُلْتُيَّصْتُها لِيَلَّيْتِي
لحَنُّها بالَّنَاس مَـا مَـرَّت
أخذْها والمولُ في ذِكْرِها
ما يومُ مَا مَنْتَهِي العِيْشُ
ليَعْلمَ الغَافِل مَا أَمْسَهُ
وَكَتَتْ بِنَوْمٍ وَدِيَنَّهُ
الْمُقُدُورُ في جَنْحِهَا
وَالَّذِي مَسْتَعِصِرْ على زُوْجِي
المَوْتُ عَرْجَالٌ إِلَى وَالَّدِ
وهذه في أول النص:

هذا فنى بنيك على مثلي
وتلك في مصر على حالها
والقلب ما بينهما حائر
حتى بذا الصبي فلوي أبي
فقلت أحكامك حزنا لها

وأحمد شوقي يصور موقف الأب من ابنته في عامها الأول، فيراها ملاكاً روحانياً، وقد استحوذت على قلبه، فتخفي فجأة بضحكتها، ويخفقأساً لبكائها، وعينه يرقبها في غدوها ورواحها، ونومها ويفضتها، وفي سكونها وحركتها فهي ممثلة في عينيه بين من سعادته أن تسعد ابنته.

وهذا شأن كل أب:

أم ينتى في عامها الأول مثل الملك.
كم خفق القلب لها عند البكاء والضحك.
وكم رعتها العين في السكون والتحرك.
فإن مثلاً فخطائري يسبقها كالملس.
الحمداً كأنها من بصري في شرک.
فيجب بين السعد لي ويا عيون الفلك.
ويا بياض الإستشر في الأيام ذات الحلك.

الشوقيات: 4/72.
إن الليالي وهي لا تنكح حسوب أهلك
لو أن صمتك طلعة لكنك بنت أملك (1)

ويصور الشاعر محمد حسن العواد مولد ابنته (نجاة) بأنها "هتنة من هتئات الحياة يتخللها الأمل" فأول هاجس هو يتمثل في أعظم أمنية له أن تكون حياتها ناجية من المنصقات والأمراض، فهل هناك عاطفة أقوى من تلك الاطلالة التي تنزع بقدم البنت؟ ثم هو ينتمي لها أن تؤدي رسالة الطهر والعفاف وأن تحمل رأية العمل الصالح والعلم النافع.

ثم يجعلها أنشودة الحياة وطيورها المغردة، وهي تضئ البيت وتبث البهجة في القلوب بابتسامتها التي يدعوها إلى نثرها بل إن إطلالتها ومدعايتها إنما هي نسمات الليل، وحبيف أشجاره وأغصانه وأزهاره وهذه الصور التي استدعتها البنت من ألوان السعادة للمفرد في هذه الحياة.

ليلة الشك جئت بزهرة الشاء
يا نجاتي، من تو ضمن الدهر
على بخله - جميل نجاتك
فتعود رسالة الطهر وسعادتها هي قوة منك تختفي في سماك
وتساقي الحياة من شرف الخلقت
يا أنت اشتوتتي الصغيرة في الدنيا
باتسماتك الجميلة تغلي
لذا العيش فانثري بسماتك (2)

الشوقيات: 4/44
العود البيوان، نحو كيان جديد 4/74.
أنت ترتينية الصباح، إذا ما أنت لي هيثم - تعجل - رفاهاً، وهذا الرفيق في حركاك، وآنا النسر بالأسفل في أفق الشعر، رمدي تلميسينه في غدتك، والعاد ذلك الرجل الصارم القوي الذي لا تلين قناته وهو ابن القبيلة العربية من جهينة يحمل إثر القبائل العربية وهو مع ذلك كله يحمل العطف كله، وتهفو نفسه للحنان المنتظرة لهذه المولودة، بل يعلن أن انتواد الحب حول طبعاً لهذه الطفالة بل إنها روضته وألانت جانبه حتى لخصومه، جنتني يا نجاة والعيش مزهو، وفي النفس عمار الرغبات، وانستعد أن أحمل العطاء والحنان الموالي رأياً على القائنين: جم الأداء روعة الخوف في القلوب الهدافة ولا عاطفة علي ذي هيئة أتحدى أولى اليراع والقص غير ما مفتئ أدبياً من النقد، وشدد الحساب للكاتب المخلص فتحولت طباعاً يعرف الرحمة، فذهبت بعدن من شباتي وطلعت بالزواج ساحة أخلاك، وشعرنا - كنت قبلك مع أمك حيث آتتمت ثلثها الثامن الباقى، فاستمسك بفضل التداخل، أيه تلك الحياة تو تلمس القسم، نجمة في الشكل جوهر الوحدات!

***

- 77 -
وحدة بإنجاز، قاللحن بهديه
الفتها عنناصر حسن الإب
داع ترتيبها المتين واحكم:
تتلقى، وطفلة تتنسلم
وأولد يدفع الكبيران، وأم
والدكتور عدنان النحوي له قصائد في أسرتة من الأولاد والأحفاد
فتحدث عن زفاف ابنته آروى، وتحدث عن مولد حفيدة ابنته لبنى ولينة
وليس.

قصصته (لبني) كبرى حفيذاته تمنحنا صورة البنت لدى الأبوة
والأمومة وإن علّت فهذا الجد يتهلل بشراً وسروراً بمقدم بنت ابنته،
ويجعل مقدمها مقدم السعادة كلها(1).

صُرت جدًا فهُلالي يا جدو
واسعدى أشرفت عليك الجدد
هي لبني يا بشريات أطلبي
وانتهضي، أقبلت علينا السعو
غرسة من منابذ الخير والطه
ووعطر من التقوى مُشهود
غرسة شهدها القضايل والبيت
وحظ من وبه ممدود
وعطت الجد كاد أن يعثر عطف الأب فهي لحن دائماً في تغريدها في
بكائها وصارخها نشيد:
هي لحن من الجممال غني
وها فوحش عليـه الورد
قيل هذا البكاء، قيل أعان
قيل هذا الصراخ، قلت نشيد

(1) د. عدنان النحوي، ديوان مهرجان القصيد 246، الطبعة الأولى مطبع النحوي 1414هـ.
أي لحنٍّ من البَثرة احلى؟ هَوْ عَنْدَيْ مَعْنٍّ وَلَحْنٍ وَعَبْرَتٌ
مَهْرُجَانٌ الحياة فِيهِ وَايٍ تَتَبَيْنُدُ لنا وَخَطَّ جَدِيدٌ
وَهُوَ يَصُورُهَا ثَبَّ عَلَيْهِ حُيَوُّ ثَمَّ تَتَعَمُّرُ فِي نَهْوُضُها، ثُمَّ انتِفَالُةً السَّير
مَصِحَّوْباً بِالْتَفْرِيد، وَهِيَ تَأْرِي تَعْلُومُهُ وَتَلَعُّبُهُ وَتَعَايْبُهُ وَكُلُّهَا مَثْعَةً وَسَرُورُ;
مَا أَحْبَالكَ حَيْنَ تَسْمِعُنَّ حُيُوًا
فِي غَدٍ حَوْلَنَا وَتَنَايَ المُهْوُدُ
ثُمَّ تَسْمِعُنَّ للْهُوَوْضُ فِيْحُلُوا
مَثْلُ سَعْيٍ وَقَرْضُ وَقَعْوُدُ
ثُمَّ تَهْوُيُنُ، ثُمَّ أَنْهَضُ وَتَبَأُ
يَتَلْقَاهُ سَاعِيٌ وَالْزَنْدُ
حَيْنَ تَجْرِينَ فِي غَدٍ وَتَبَأَتُ
تَتَلْقَاهُ أَضْلَعُ وَالْكِبْرُودُ
فَوْقُ ظَهْرُهُ، عَلَى يَدِيْ كِتَبَيْرٍ
قَلْبُهُ أَضْخَامٌ وَالْنَجُوُدُ
وَاهْتَمَّ شُمْرَاءَ الحَجَاز بِذَكْر مُوَلَد أَوْلَادِهِم وَمُوَلَد أُوْلَادٍ أَصْدِقَائِهِم
وَأَقْرَبِهِمْ وَبَعْضُ الأَمْرَاءِ، فَشَدَّ نَظْمُ الغُزَاؤِي وَعَلِيٌ حَافَظُ فِي مِيَلَادِ أَبَنَاء
الْمَلِكَ فِيْصَل خَالِد وَسَعْدُ وَمُحَمَّدَ، وَكَأَنَّ الأَسْرَ تَتَمْنُي أَنْ يَقَالُ فِي مُوَلَدِهَا
شَعْرُ، وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ عَلِيٌ حَافَظُ فُلْهَ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرِينَ قَصِيَدَةٍ قَصِيَدَةٍ فِي
مِيَلَادِ أُوْلَادِهِ وَأُوْلَادِهِمْ مِنْ بَنِينَ وَبَيْنَاتِ
وَعَلِيٌ حَافَظُ بِصُوْرُ خَبِيرَةٍ وَلَادَةَ حَفِيَّدَهُ (رَأْوَى) وَتَهَفُورَ أَمَانِيَّهُ إِلَى رُؤْيِتَهَا
مَاشِيَةً فِي تَدْلِيل يَذِكَى الْقُلُوبِ، وَيَبْرِعُ الْغَنْفَوُسُ، وَالْأَسْرَةُ تَرَا فَتَانَهَا جَمِيْلَةً
حَتَّى قَبْلَ أَنْ تَظُهَّرَ مَعَالَمُ الجَمِالِ، فَأَلَبَثَتْ تَسْتَهِلَ لِحيَاتِهِ فِي جُو مَفْعَمٍ
بِالْحَبِّ تَتَحَذَّمُهَا الْقُلُوبُ فِيْلْ الأَيْدِيَ.
إِنَّى ظَفَمَّنَتْ فَأَقْلَبَيْنِي رَأْوَى
أَسْقَعَ العُطَاشَى فِي كُؤْوسَ صَافِقَةٍ
فليس لأشياء الحب له حدة
ولو غاب عنه ساعة أو دقيقة
أيا زهرة في القلب طاب غراسها
وهي شاهًا يعمق المنك والند
تسامت بأرض الحب قد زانها اللورد
ووافاكم من اين وافيتم السعد
رعاكم جميعا فالمحب واليالى
وعندنا ندرك عند الاستبشار بولاده البنت، وجل المجتمع لا يفرق بين
إطلاعه البنت أو الأبن، لكن هناك حالات تتمنى الأسرة فيها أحدهما فمتلا
امرأة أو أب يرغبان بتين فقط فإنهموا يتمنيان أن تأتي لهما ابنة وكذلك إذا
توالت البنات فإن الأبوين يتمنيان أن يرغبان بابن بل حتى الأخوات تهمو
نفوذهن لأن يولدنهن أح ذكر.
والشاعر المهجري زكي قنصل له ديوان في ابنه سعuplicated التي أطلت
عليه في (شهر إبراهيم) فكانوا الربع الذي حل دار الشاعر، وهي تتحمل
الضجيج والإشراق، وتزعم البهجة لبيت كتب لكنها لم تتجاوز عالمها حتى
داهمها الموت. فأخذ الشاعر ينشد الله فكان نور عينه قد انطفأ، عندما
انطلقت كالزهرة الدايلة. وله قصائد في صورها، وألحانها لكننا هنا
نصف ما قاله الشاعر في ولادتها:
فقد ضحك الزمان بعد عيوس، فاستبشر بمقدمها، وإطلاعتها عليه حياة
جديدة يستمطرها الشاعر:
ضحك الصباح فقلتُ لولاها ما ضحك الصباح
أهلا عروس الصحراء، أهلاً بالصباح وصلابة
هضُ الأسري جَنِحيُ فلما جئتِ طيرت بلا جناح

----
(1) إبراهيم السيد، نقوش على صفحة المجتمع 114، 8-2
وتكرشت في الجراح فكنت بناءاً للجراح
***

اسعاد هل أخير من اسمك بين أسماء البشر؟
لكأنه أهتزة نشوة على ضفة الورث
لكأنه تجوى التسليم يهتز أعطاف الشجر
لكأنه قليل النبي تنسبان ما بين الزهر

والشاعر زكي فنصل بصور الطفيلة المولودة في البيت، ضبائها
والسهر عليها من لذائذ الحياة، وسعادتها، إن الأم حين تداعب ابنتها
تنتمي بأمانى الحياة، والأب يدفأ إلى روضة الفتاة الجوانية من وهج

الحياة الصاحب:

ماذا بتكاول يا سعاد وعين أمك ساهره
غيري نتهمنه عن سريرك كل عين شاانه
سلمت يدائك فقد أقلت لها الأماني العائله
وعستت من أمداها ما ليست تدرك أخره

ويرى الأب الشاعر أن البنت ملاك روحاني، يفيء إلى فتى ويشتفي أذيته
برنين صوتها، وقائمة واعوجاج نطاقها.

هذا ملاك كفرت في ظله الصافي الطويل
واستمتاعي منه بأركي من شذا الورد البديل
ما أهو الخطر يدفع شرها هذا الدليل

-83-
ما أقرب القصد البعيد وأيسر الوباء الجليل

يا قهرة المعينين ضني واضححكي وتهلل
وتدللي معا شئت يا أولى فرخ البلبل
إني اتخذت لك سلعتي وجعلت مهرك منزلي
مَا الحب لو تدرين إلا للحبيب الأول

هلا شدوت مع البلابل في الصباح وفي المساء
وتركت للغريان ألحان التشاؤم والأسى
فَرَشَتْ يد الرحمان دينك يا رجائي درجستا
وكُسَاك من حلل السعادة كل يوم بترنسا

مادعة البنات زمن الطفولة:
كان بعض العرب يتفقون أن يداعب الرجل ولدته، أو يسمع لها أن تمرح بين يديه أمام الرجال فها ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نقض تلك السنة السيئة. فلم يكن يضن بوقته الأعز أن يداعب فيه الوالد من بناته أو بنات صاحبته.

فقد حدث البخاري عن أبي قتادة قال: «خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بن أبي العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها».

- 84 -
وحدثت أم خالد بنت خالد بنت سعيد قالت: أتبت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي وعلى قميص أصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سنة سنة» - وهي بالحيشية حسنة - قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبيّة فانتهرا أبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعواها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلق» فعمرت بعد ذلك ما شاء الله أن يعمر.

والحقيقة أن قلوب البشر تتعاطف مع أولادها بنين وبنات فذلك غريزة خلقها الله في كل كائن حي متوالد، ولا ريب تحقيقها في العرب وإن وجد من يخالف ذلك فهم قلة، ولا ريب أيضاً أن الإسلام قوّى الروابط الأسرية وزاد من تآжع عواطف الحنان والحب، وروى ذلك بالتوالد والتعاطف، ووجه العقل البشري وجهة عملية للتعامل الأسري بل جعل الثواب لصلة الرجم والعقاب من يخالف ذلك، فالرسول صلى الله عليه وسلم أبان في أحاديثه أن التربية عمل صالح وخصوص البنات بعدم من الأحاديث; ومن ذلك حديث عائشة أم المؤمنين قالت: جاءتني إمرأة معها أبنتان تسألني فلم تجد عدني غير ثمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها. ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته. فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سيراً من النار».

أما حبه عليه الصلاة والسلام لأبنته قاطمة، وشفقته بها، وحنانه عليها، فضما لا يجيز به وصف ولا بناله بيان. وهي التي يقول فيها: فاطمة بضعة مني يسوعني ما يسوئها، ويسرني ما يسرها، والرسول قدوة كل مسلم.

أبصر المسلمين كل ذلك، ورأوا أن الله لم يختص فاطمة بنت محمد
بذرية رسوله إلا ليشهد بالمرأة، وينهيص بأمرها، ويرفع من شأنها، وياخذ العرب بعيدها، والابتهاج بها. ففندوا من بعده يحبون بنائهم ويكرونونه، ويرون الخير كله معلوماً بنواصيهن. وقد استخلص وسب بن منبه من تقديمه سبحانه الإناث في قوله: يهب لمن يشاء إناثاً وبهيب لمن يشاء الذكور.

(1) انظر: عبدالباق طفيح فه يد في جاهلتها وإسلامها. 1917 بنصرف.
ملعببة البنات:

والأدب العربي صور طفولة البنات، وتتعلق الأدب بها، لكنه لم يستطع أن يصور الواقع الذي يجول في مشاعر الآباء والآممات، وكيف تنام علاقة الحب الأبوي، ولا أحد يستطيع أن يتحجر أمام مداعبة البنات وحنانهن من بداية النشأة وتخلق النظرة إلى رسم البسات وإمطار القبلات، والحبور والاستقبال المشرق، واللعب والطلبات، ثم اندفاعات والاطعمة إنها رحلة السعادة للآباء أيتها البنات أمكن الأثيرات فلا تفركن الحملات الإعلامية التي تتبنت تفكيك وتفتيت الروابط الأسرية أيتها الفتاة ما رأيته من أبيك فتصوري أن ابنتك تعمل لك ولبريتها فنارعي الحب والشمو في بيت الزوجية حتى يسود الوداد والحنان والتحاب فهذا أبو دلامة يفضن من أبنه لما يحمله من تبرم من أمها وهي من المداعبات البنتنة:

بلى على لا حبيت ذوبي فما ودي نسلك في عيسى إلى ليتها الوالدين علي سوء ولكن قد تضمنك أسعد

لكن انظر لقول جدع (1) في إعجابه بابنته بنيانة النظيفة يقول:

جاءت بها أمه وكتبت لابساً ثابات الجديدة فداعبها ولاعبتها فلامست

أبو دلامة، الديوان، تقيق د. رشدي علي حسن، بيرزت مؤسسة الأمل، 1467، 1486م.

هو إبراهيم محمد جدع، ولد في حي جدة عام 1230هـ، شاعر سعودي معاصر له ديوان ضخم، مستوفي.

- 87 -
يدها التي كانت في فمها ثيابي فأبعدتها أمها عني كيلا تتسخ ثيابي... وكان مشهدًا أثار في نفسي الرغبة في التصوير. وتيقنت فريحتي هجات هذه القصيدة إلى ابني سمية:

دَعَيْتُها .. دَعَيْتُها
وَفِيَّها الْهَناءُ ..
وَفِيَّها الشَّقَاءُ ..
وُتَرِجْهُونَ دَوْمَهَا ..
سَبِيلُ النَّجَاةُ ..
دَعْيَتْهَا .. دَعْيَتْهَا
ذَهْبُهَا فَقَمَا ..
مَلَكِيّ الصَّغِيرَةُ ..
وُسْلَةٌ عَمْرٌ ..
وشمسي المنيرة
وُفِيَّها الْبَنَاءُ ..
وُفِيَّها الطَّفَاءُ ..
دَعْيَتْهَا .. دَعْيَتْهَا
لَانْظُرُ فِيْهَا ..
فَلَسْتُ أَبْنَى ..
ثَيَابِيّ الْجَدِيدَةُ ..
ثَيَابِيّ الْجَدِيدَةُ ..
هَذِيّ الْبَرِّيَّةُ ..
حَبيْتِيّ
سَتَلَقُنَّ يَوْمًا هَذِيّ الْحَيَاةُ ..
وُفِيَّها الْبَنَاءُ ..
وُفِيَّها الطَّفَاءُ ..
لَانْظُرُ فِيْهَا ..
ظُروفُ الْحَيَاةُ ..
جمال الخلية...

وأحمد شوقى رزق بابته علي وابنته أمينة وله شعر فهيما لكنه أكثر في ابنته من ابنه بل أطول وأعمق وأكثر تعففاً شعورياً وما ذاك إلا لفكنة البت عند الرجل، وهو يدعو لها بالعقل والعافية بل يتنمِّي لها زوجاً صاحباً وان يرزقها الله بالأولاد السالحين فألب يحمل أثقال ابنته صغيره وكبيره من المهد إلى اللهد:

أمّيَّةُ بابتيُّي الغالية،
أهنيك بالسّنة التنانّة،
وان ترزقِي العقّ وعافية،
وان تقلصْي لأْبِ الرّجَّال.

ثم هو يذكر بذلها لها وهي تعبت وتحمل ولاتبالي، فيجيب أبيها خالية
ويدها لا تخلو من التقويد وهو يعيني وهي لا تشعر بالعذبة، وهو يضحك
حين تضحك أمينة.

وَمَا كَانَ فِي السّنة الماضيي،
وَكَمْ قَدْ كَسَرَتْ مِن الأَنْيَةِ
وَكَمْ بَلَتْ فِي حَلْل مِن حَرِير.
وَكَمْ سَهرت فِي رِشاكِ الجِفْفُونِ
وَكَمْ قَدْ خَلَتْ مِن أَبْيَكِ الجُيُوبِ
وَقَمْ قَدْ شَكَّا المُر مِن عِيْشُهِ
وَكَمْ قَدْ مُرَضَتْ فَاسْقَمْتِهٰ
وَقَمْ قَدْ مُرَضَتْ فَاسْقَمْتِهٰ
۸۹
ويضحك إن جنتك تضحكين
ومن عجب مرت الحادثات
فلو حددت مهجة ولدها
والتهاشمر الرقيق أحمد رامي ينقل رقصات شعورية مع حفيدته (رانية)
فهي قرة عينه، تسبيه هموم دنياه، يشاتق إلى مازهتها ومعابتها،
ويمتتبع قبالتها، يستثييل نظراتها، وهي مكتملة الجمال في نظرة يسعق
الفاظها ونداءها، ويدعو لها بالحياة الهائجة:

قرة عيني الغالية
بأنا أحبه (رانيه)
ناسبت كل مابينه
إذا رايت وجهها
وهي على حائنيه
اشتاق أن أضمها
واستطيب قبالة
من الشفاه القانية
واستطيب نظرة
من العيون الساجية
حين تكون راضية
له ما أحلمها
وما أرق خطوها
تقول (جمده) وأنا
أقول يا حياتي
بالروح وهي غاليةً

الشوقيات ٤: ٧٦.
(١) أحمد رامز: الديوان ٢٢٨، بيروت دار المعرفة ١٩٨٧ م.
(٢)
وسن القرآن يداعب طفليه ومدآعباته طفلا في مستهل الكلام
وتصور مشاجرتها مع أخيها وينطلق إلى وصف تلك الطفلا في أسلوب
سردي شخصي، يرسم فيه الفم والهم الذي أصاب بهما جراء اعتداء
أخيها على لعبتها، ويصور لنا تصويرًا مسرحياً أحوالها وهو قد تفاعل مع
ابنته بروح مرهخ خفيفة، تتدفق فيها شعور الابتسامة الحانية التي تفيض
بالود والرقة:

اتنتي على الصبح بنتي الصغيرة
وفي صوتها رعشة مستجيرة
تَموَّسُ أحلاف قلبي الأسيرة
فقد داس إحدى دماها الكثيرة
اتنتي بكامل روحها الحسيرة
فَرَضَ بآمال الأقواحان
فَنَفَّتْ لها اسم الحبيبة أمي الروؤم
وفي خطاها - أي خطو صغير-
حية الضريرة
فَقَلِتْ لها يا ابتسام الربع
سأتراك يومي بخمر الدم
فَكَيِفْ يعابثها بهواها
وكيف يدوس التي في حماك
وإن شئت أن تصفحي فهو أتى
فَنَفَّتْ إذا ما رأيت الدمى
وإن كنت مثل التلال الكبيرة
ولكنني لست أعطي دمًا ما
- ٩١ -
تعيشين لي يا ابنتي في سلام نفاسك كنز حياتي النضيرة

الابنة الصغيرة هي واحة يأتمس بها الأب وتسرى همومه، وهذا الشاعر حمزه شجاهه المتشق بهمومه وأحزانه، المتروك من حياته الذي يعمل هاجس الأديب الذي يتقصف به رياح الحياة، ويمتاز لمؤثرات الحياة، مما دفع به تلك الحالة غير المعتمدة إلى الفرقة وتزداد حياته تقليداً وتغمر أشجاهه وآلامه، حتى إنه يدعو ابنه الصغير إلى مداعبه ولا تتأثر برؤيته لبوسه وشفاه فإنه مع كل ما يحمله سيكون رجيم الصدر لها:

لا تراعي لظاهري أو تسرني
ق بما في الحياة درعاً فخري
وكلية لليددين تجاه صدرية
وأغرمي من يدك ظرفاً لخسري

لك مني صدر رحب إن ضا
والثمي وجنني شما عندي
والصفي وجهك الصغير بكتفي
ويا هجمي تارة بجسمك أضيف
وأنا رافقك الوصوول إلى رأ
فأكن قضرة المجازف في حر
وافعل بي ما شئت، وافترضيني
فقريباً ستصبحين فتاة
لا ترى الشمس حسنها، ذات خضر

وهو يتهمنى محادثتها في غربته وابتعاده عنها بل إنه يتنمي أن تذكره في ليلة عرسها، وهو في غريته نائياً عن أسرته، بل يتوجس أن لا دور له في
نمرة حياته وأن لا تضوّله في زواج ابنه، وما أنت في أمان!!
أرفاق الأسرة لا سيما في مناسبات الزواج. وهو يشكي من قسوة الضرائب. لكنه يتمتنى بقاء ذكراء حتى بعد موتته بل زيارتها وان تذرف الدموع على قبره:

بعدُ طول اتناثفنا بالذيّر
إِنْ خَلّت منْكَ؛ بانضارة خُمْرِي
حَيَاتي وقَبْلِيتي، لِيَتْ شُعْرِي
تَتَأَذََّنونِ يَوْمٌ عُرْسِكْ ذَكَري
فلقد كان يرتبطه لأمر
تْهَاوِي بها عوامُ قُهْري
ب شِجُونا، وأُستَعِين بِصبرٍ

أحسٌ بما مَعْدُبًا، مُضْعَم الْقُدْرُ
وهٌو يتحدث عن أحوال ومشاغبة البنات الأخوات، وكثيراً صراخهن
لاسيما في الصباح الباكر حين الاستعداد للذهاب إلى المدرسة. فالتظام
بعيد التحقيق، والتشادة الكلامية دائمة دابة، يشدّ أوارها صباياً:

وُلَمْ أُبَّعَتْ واعيّاءً وأطمِّناء
وسنَمُّ بِهِنَّ نَسْمَاءً
وُلَّتْ بَيْتِي قَتَّلَتْ عليّ ظهْري
عَمِّا كَرِهتَ ونَحْنَ لا ندْرُ

(1) حمزة شهاب، الديوان 30

- 93 -
فإذا الصباح أطلِ خضناها
حُريباً يكون وقَودها أخْتِي
هل تقول: حذائِها ضاعاً
هُدَى تسائل: اين مَرَیلّتي؟
وتصير ليّ: لم اجي قلمي
وأنا صحاوت فلم أجد كتبي
فتجيبي نجا بدمعتها
ويجِدُ أهل البيت في الطَّلْب
(1)
ويصف الأمير عبد الله الفيصل ابنه سلطانه وصفاً خارجياً يكشف عن
شعوره أكثر من تصويره للفتاة. فهي أنيسته في وحشته، وهي أعادته له
بسمة الحياة بعد ذبولها.

يا زهرة لي نضجيرة
أبنة لي صفية
وصاد لي ضيّك أنسي
وأخطي دوح حياتي
أوحت إلى شهيدي
يا نغمة في وجوه
ولبيد ما طال صمتالي
ابصريت فالي الوداع
مطبعاً على لا صبّاغة
يوضع على شعاعها
والبنت حانية على أبيها تبعث فيه روح الحياة فهي تنفعل إليه كما تنفع
(1) حمزة شحاته، البيوان 238

- 94 -
إلى جدتها وتداولها وتلهوها، وتبت روح المرح في الكبير والحزين:

برقية كلامي

أحست صوتك شبابي
أراك في كابري
رفعتا لصوتٍ إبحائي
 بشيء ومض هنائي
 على قلبي بمسار
 فيرتاوي من عمي
 نامي بطر قرار
 عيني الإله القدير

والشاعر محمد حسن العمري له مدادية مع ابنته، مثال (نال) تتسم بالواقفية. وتكشف عن عاطفة الأبوة تجاه البنت وعن الراحة النفسية التي تتألق بين الأب والابنته:

في جوار الحبيب يرتاح البالي
امتحاني سويعة من نهار
فهمومي ثقيلة كالجبال
في حمى دوحة مني والظلام
وتجرعُت كل مروحالي
قد بلوت الحياة جيداً وهزلاً
فإنها كل متمنية لا تساوي
يأتي من يكون أعلى حبيب

والرجل يعاني من هموم الحياة، فالحياة مكابدة، يعيش الأب في وجهها القاسي هموماً فكرية، وصراعاً، وفقر رجال، وسعادة وراء لقاء العيش.
ونعم أعمال فهم يعود إلى بيته مثقالًا خائر القوى، متبرم النفس، فلا
تقابله ابنه، تكون هي المواسي والطبيب المداوى، فتداعبه وتعابه، فتجلو
همومه وأحزانه. فالأب يرى ابنه روضة الأنس، والماء العذب الزلال.

والتمغيم العليا:

يا سروى في صحتي واعتالاني
يا ملاكاً بدونها البيت خالي
بسمات على شفاء الليالي
باستِيلاق لشريحة من زلال
غبت شهراً عن الحبيب المولي
عن يميني وثأرة من شمالي
حطم كل نعمة بانفعال
بصشرت كل ما تراه حيالي
عن مضايقة أوان انشفالي
وأطاحت بفقرتي ومنفالي

يا دواقي إذا شفقت بدائني
أنت أنساني وروحاني وهناني
أنت في نظير المحب العني
طفلتي إن ظمت عند البيلة
وإذا غبت بعض يوم كان
كراكات بريئة تنسئي
كلما غضبت على ميالي
كسي ودفاته مرقصتها
وإذا قلت يا مي القلب كسي
أمعنت في العيد قول وفعلا
فالشاعر بصف احتمال الأب لضيافته ابنته ويفديها بكل شيء، بل إنه لا
يقدم على إغضاها، ويرجع مشاعره، ويطلق لها العناء حتى وإن لم يعجب
بتصرفها لاسيما في طفولتها المبكرة حين لا تعني عواقب أعمالها، ولكنها
إذا تجاوزت تلك المرحلة تكبُّيها اللهمة والإشارة أمَّا قبل ذلك فالعناد
والتحدي:

(1) محمد حسن العراقي، ينابيع الربع.
إنه أيام بعد جهد جهيد
فأضيق بها وبالتي درعا
ذاك دابي وذهب بها قصر
ومطالب الفتاة في طفولتها كثيرة وعالية الأسعار ورغباتها جامحة.
والأخبر باختصره ولا يمانع من تلبية رغباتها حتى لا يخدش ولا يكسر ولا
يؤثر في حالها أمام صويباتها أو زميلاتها:

وهي متوجهة بصوتها المثالي
فأنشد في إنشاكي
عاصفة وراشف بالنبال

أمّ سلام من صغيره تنمادي
كل شيء تردد من أبيها
طلبات في إثرها طلبات
ليتهما تنحدى إذا قلت مهلاً
إشرح الحال مرة بعد أخرى
حسبت أنت على كل شيء
طلب المستحيل سهل عليها
سالبي من كل قلبي وحسبي
اطلب مهتجتي فليس لدى
فهو يقدم لها المال وانقلب فلا يرد لها طلباً وهي إن كبرت كذلك فأن
مكانة تساوي هذه المكانة وهذه القصيدة تمثل حياة الإنسان تقديماً وحديثاً

محمد حسن العمري، تتابع الربيع ٩٧

(١)
مهما اختلف زمانه ومكانه بل حتى دينه ووطنه، فالحالة هذه إنسانية بشرية نابعة من الفريدة الإنسانية.

والحب المنفرد من الأبة الصغرى هو قمة الحب في هذه الدنيا، فالآب يرى فيه الصضاء والنقاهة، ويستشعر تدفقه من القلب، وحركات الفتاة ومزاجها وطلباتها، وأبتسامتها إنما هي ديمة تستوكي من قلب محب. فهذا الأب بعد معاناة العمل يفكر أول ما يفكر بهدفة ترضي ابنه كي يعود بها على عجل لحبيبته التي لا بداتي محلها في القلب أحد من البشر: يقول محمد العميري مخاطباً ابنه بعد أن أصبحت قادرة على المحادثة:

تقول إذا عدت إليها من العمل كلاماً من الأعماق أهلى من العمل
تقول أما أحضرت يا أبي وتوه قليلاً من الحلوى فقدلت لنا أجل
بُحشت عن الحلوى إلى أن وجدتها ولو ثم أجدها ما رجعت على عجل
إذا طلبت ليلي قدوادي وهبتها وهل لسواها في حنائها من محل
هي سلوا القلب الذي بين أضلاعي هي راحةتي من كل هم إذا نزل
تُبادلني حبهاحب حقيقة فلا القول مكدوب ولا الحب مفتعل
من الزيف حتى شفاه الروح واستقل
ومن كان مثلني في الأبوة لا يمل
ومنزَّل هذا الأمر دأبي ودأبها

ظهرت في الغرب ظاهرة التبرم من الأطفال حتى من الآباء والأمهات
حتى اضطرت الشرطة إلى تخصيص هاتفاً للأطفال للاستجابة بها من آبائهم، وما ذلك إلا للفكر الخاطئ الذي يتساءل ثم ماذا بعد تعب الآباء.
والأمهات؟ ثم هم يؤثرون شهواتهم ورغباتهم على أي شيء حتى على أولادهم. وما ذالك إلا لتفكك الأسرة، وغلبة المادة والشكوك التي تتعرضهم حول جذور المشقة والمسؤولية من تربية الأطفال، بينما الإسلام والمسلمون يحافظون على الروابط الزوجية والروحية، وينسبكون في نفوسهم حب البنوة، بل تكون النحية عارمة أحيانا ومن هنا، وهذا هو الأفضل والأقرب للنظرة تكون الدعاية الطفولية تنمى الترابط مما يولد حب الأطفال لآبائهم وصحاتهم وتعلقهم، وتلك إنما هي أفضل هدية بل هي الثمن المباشرة لمعاناة الآباء:

"أنت معي إن البراءة وحدها فأن أبتسام الطفل أغلى هدية
يدمّمها للوالدين مع القبلة، ملائكة لا تعرف الحقد والحب، وودّعت أحزاننا وما جد من علل.
سلام على الأطفال حيث وجدتهم فهم زينة الدنيا وهم بسمة الأمل، وهم كالأزهار التي تبعث الشدا فتحيا بها الأرواح من أهله الكسل.
وهو يدعو إلى مجازفة الأطفال، ومنادتهم: وطول صحبتهم ليكون التوجيه لهم والرقابة عليهم.
ولو أننا نعطي الطفولة حقها، فكل ما يخطئ في سائر العأشام تحتفل، فكل ما نتركه يبنينا عليه همل، فحتى لا يبق البسما في آخر اليوم ساعةً، وفي الآخرة الأسبب يوماً على الأقل".

(1) شريح الأسواق 28، 99.
وهذه الأبيات تشير إلى وجوب عناية الأب بأولاده معتضباً الأجر من الله سبحانه وتعالى لأن في ذلك عبادة لله، وخدمة للإسلام وال التربية ليست للمحبة وحسب، وإنما لصلاح الإنسان والإنسانية وعماره الأرض.

وعبد الله باشراحيل يستحضر ابنه في كل مكان جميل وكل زمان عليل فيراها في لين الخُمائل، ويراها كوكبا بين أقرانها، ويرى البراءة فيها مثل الطبيعة:

يا كوكبا بين الخُمائل
لُبِدِّوَّا إِلَّا لَأَحَلِ الصبَاح
فَيْهَا بَرَاءَاتُ المَنِي
فَبُنُوَّانِ التَّرَانِيمِ البَلَابل
فَهَيْنَا تَشَلَّدِ الْعَنَّادِل
فَيَكُونُ الْحَقَوْلُ وَفَيَقَتَالُ
أَجَّتَكَ الْمَرَاحِل
وَأَيَّهَا الْحَبُّ يَا نَجَواَي
كِمْ كَنَّا أَرْتَقَبْ الْلَّقَاء
لْكَيْ يَوْاضِيُّ وَلْكَ يَوْاضِي
فَالْوَرْدَةُ تَرْفَعُ فَيَالْحَمَاشِ
فَهَيْنَا أَحْتَضَنْتُكَ وَفَلَنتُ
فَآوْقَدَتْ لِلْضْرِّ الْشَّمْوُع
فَهُمَّ رَقَتْ مِنْكَ الْمَنَاذِل
يَا طَفْلَةُ الْأَمْمِ الصَّبَوح
يَا فَتْنَةُ السُّحْرِ الْضَّحْوُل

(1) عبدالله محمد باشراحيل، النبع الطامي، 266، مطبعة شركة المدينة المذكورة للطباعة والنشر، ط1406-1986 م

۱۰۰
والشاعر العسكري العميد الدكتور / فهد محمد النجاح، يستحب ابنته في مشاعره، فهي قطعة منه حاضرة في مخيلته، يبدأ بها، ويتم بمخاطبتها وملاطفتها، وهي تستعون على عقله وتفكيره، يمحضها حبه، ويمضيها عصارة فكره، وبتض缵 إلى الباري بأن برعاها ويكدُرها بعونه، ومن أعز أمانيات الأب، وما تنشر بها عينه أن يرى ابنته وقد تلبست بروح الإيمان والقوى، وتدحرت براءة الأخلاق، وتنورت بصفاء الهدى، والتزمت بمبادئها الاجتماعية الخالية:

أبيتي يا كل آمالي ويا حظي السعيد
يا قطعة مبني، ورمزة هنائي الباقى الأكبر
مني إلى العقل الصغير نصيحة الأب الرشيد
وصيحتي مبني إليك جعلتها نظماً قصيد
تبقى على مر الزمان وكل يوم في جديد
وتأخذني منها عتاد الدهر في يوم وفيخ
فعل فيما تنطوي نجوى في اليوم الشديد
وإذا قسيت رب القضاوة فاقترنها في مزيد
ثم اذكروني وافهموا ما قلته الفهم الأكبر
فعلتكم بالدين الحنيف فإنه النذر الرصيد
وتخلقوا خلقاً خير ومجدهم باق تليد
أجادات الفجر الأماجد، رأيهم راي سديد

- 101 -
تاريخهم بالحق والأخلاق والشرف الوليد
باقٍ على كر الدهور وشعة للمستفيد
وتيقظ في حضارة الطاغوت تبديل المجيد
وحذار من تيارهم أن يخدعوك فلا محيد
وعليك بالإخلاص للمدن الزهية والصعيد

هو يوصي بها طلب المعرفة والتحصيل العلمي، وأن تلتزم بالقيم العليا.
وتؤدي واجب دينها وأمتها ووطنها.

وطن به كانوا بناء الأمس، والأمس التالي
أواك بين رياح بين رياضه بين الحصيد
رباك بين أحضانه فحذار من نكر الحميد
ومن المعارف فانهلي عدلًا بإخلاص شديد
وتدرعي بالعلم ضد الجهل في حرب الجديد
وتحركي بالواجبات ولا تكوني كالجليد
وابني وكوني قدوة للجيل، للجيل الجديد
هذي الحياة شعارها أن دائماً هل من مزيد
وإذا غدت إلى الأمومة فاحفظي حق الوليد
ربيه عضواً نافعاً باللهين والرأي السديد
قولي له عن دينه عن أرضه الا يحيد
وأروي له تاريخه من بدنه الماضي البعيد

102
هذا نصيحة وانى يرجو لك الحظ السعيد
(1)
دامت تلك الأيام في بحبوحة العيش الرغيد

وقد قابلت الشاعر وتذاكرت وأيام الشعر حول البنات فبعث لي بهذا
الديوان وقال إن ابنه ذكرته بالقصيدة بعد أن امتد العهد طويلاً، وأنها ما
ظلت عائقة بذهنها. تستشعرها دائماً، وتستلهمها، وهي مدعمة إلى الالتزام
الشعري، وحافز على أداء الفرائض وال التواصل.

وعبدالرحمن العشماوي يستمد من ابنه (شدا) صفاء الحياة، ويرى
فيها الراحة والسكن وهي عون للأب تجاو عنه أثقال الحياة اليومية، فهو
مرهق تعب حتى يلقاها فتزول عنه هواجه وهمومه:

يا البطلة ترفع في الأفق
لكي تبصرها كل الناس
يا شدا...

يا نبع أحلامي ويا صفوة حياتي
يا نسيماً...

ينشر المطر ويحيي بسماته
يا شدا...

يا ديمة تسد غضون الكلمات
يا ربعاً...

(1) ديوان (ندى حبي) 48
يسمع الأزهار أحلى النفمات
يا شذا...
يا مقلة الحب التي يرسل سحر النظرات
يا شذا...
يا طفلتي يا زهو أشواقي وحيي
يا شذا
يا منحة الله التي تسعق قلبي
يا قناديل الرضي
تكشف ظلماء جراح
وتمد النور في سرادب كربي
يا شذا لو تعلمين...
ما طويل قلب أبيك الحر
من حزن دفين
من أزاهير اشتياق وحنين
من عذابات جراح وآتين
يا شذا لو تعلمين
عالم اليوم غريق في محيطات الشقاء
في الهوى في غفوه الشهم
لعلهاء...
وصحو الأدعية(1)

(1) د. عبدالرحمٰن العشماوي، يا ساحنة القلب، دار عالم الكتب/ الرياض، 1442هـ.

- 104 -
والشاعر عبدالكريم السيداني يخفقّه وجدانه حين طلبه ابنته (غيداء) أن يأتي لها بالقمر، فتذكر استجابته لأوامرها الدائمة غير أنها جنحت في طلبه المستحيل هذا فقال:

غيداء تطلبني القمر
لي طفلة هي ناظري
ما أن أراها تبتسم
عصفورة أحلامها
حركاتها تضفي على قلبي السرور إذا انحسر
وعن الكتاب وما انكسر قد كان أوما قد ستر بدر السماء من نظر كتفي وقد طال السمر يأبي هات القمر لا يستطيع به الظلم تكرر الطلب الذي أبنيتي إن الذي بعد السلام من الذي بعد الحنان من الذي بعد الوفاء من الذي أبنيتي فدعي القمر

- ١٠٥ -
يا زهو ويوئس كل من
فREW سقناك بكت
تشكو فراها وثبيتها
ما انصاع يوماً خاضعاً
فعلها غيدياء أن
وتبت شكواها إلى
رب الصبر مع السحر
يا رب فقال رجلة
يا خير من نعصوه يا
غبداء فلقد قمن
unsigned كل من

محادثة البنات بعد تجاوز مرحلة الطفولة:

أخذت المرأة المسلمة تقف مع الرجل المسلم ولا سيما ذوى القرابة، فهي تشدد أزرها، وترفع مكانتها، وتقلل عثرته، وتبدل النفس والنفسين، وتعوض بعقلها الراجح: ومن هنا كانت المرأةظل الظل الذي رحمها من الأبو والأب، والأبناء، ومن أوائل المؤلفات الإسلامية موقف خديجة بنت خويلد وكذلك عائشة بنت أسعد زوجة عمه أبي طالب من الرسول صلى الله عليه وسلم كما حدثنا عنه عبد الله عفيفي: «على ذلك الدنبعد الضرب، سارت خديجة أم المؤمنين في تثبت قلب النبي وترويج نفسه وتأييد أمره قلم ير شيئاً يحزنه، من رد عليه، وتكذيب له، وسخرية به، ونفور منه، إلا فرجة صدره، وأذهبت حزنه، وأثلجت قلبه، وهونت الأمر عليه.

(1) مجلة الأسرة ع 74، جمادى الآخرة ومجلة الشقائق 5
تلك هي خديجة التي بعث الله إليها تحيته، فنزل بها جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: أفرء خديجة السلام من ربي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك، فقالت: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

ولعمرك أنها لثوبة من الله ما ظفر بها أحد من السلفين الأولين، والخلفاء الراشدين. ذلك لأن موقفها يوصف بأبر بررسول الله، وآخر في بسط دعوته، وتأييد أمره، من مواقف الأبطال المعلمة، على الخيل السومية.

وفي السنة التاسعة من ذلك الجهاد العظيم، ماتت خديجة. فاشتد حزن رسول الله على أعز نصرائه، وأصدق وارائه. ماتت خديجة ولكن عظمة المرأة لم تمت، فقد خلفتها على رعاية النبي وتأييده وثبيته وتدبيره، امرأة لم تكن دونها رأياً، ولا عطفاً ولا عقلاً ولا جاهداً ولا منصباً، وذلك هي فاطمة بنت أسد زوج أبي طالب بن عبد المطلب عم النبي، وأم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فائد المسلمين، وصهر النبي الأمين.

لم تكن فاطمة رضي الله عنها خليماً من خديجة فحسب بل كانت كذلك خليماً من أبي طالب في الذود عن النبي، والانتصار له، ورفع الصوت حراً ندياً في سبيله. ولم يزل ذلك شأنها، حتى هاجر رسول الله إلى مهبط أمته، ومستقر أنصاره، فتبعته هجرته. فكان بيته في المدينة، كما كان في مكة. نبياً طيباً ومقيلاً كريماً.

وكما كانت فاطمة في نصرة الله، وتأييد رسوله، منقطعة القرنين، كذلك كان لها رسول الله يوم لحقت بربي، فقد كفنتها في ثوبها، ونزل في قبرها، واضطعج فيه. فكان حقاً على القبر أن يشرق بنور الله، ويعبق بروحه ويفيض برحمة.
فقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما رأيتاك صنعت بأحد ما صنعته
بهذه. فقال: إنه لم يكن بعد أبي طالب أalleries بي منه(1).
فلا غرابة أن يلجأ الشعراء إلى بناتهم بيثوثهن مكابدهم وأشجانهم
وينشدون المدى منهن.
وشيرين ابنة حمية شحاته كان لها دور في إمداده ببعض المال أثناء
غريته بالقاهرة فإذا ما تأخرت رسائلها، فإنها تضطرب أعوانها، ويفقد ما
يقتات به وما يدفعه لأجرة الدار. فهو يشتث غضبه على ابنته ويذكراها
بالفضائها المعسلة أين هي الآن، وكان من الأولى المبادرة يقول مقتفيًّا أثر
أحمد شوقي:

ودمع لا يكشفه يا دمشق
يخشخش في مسالكها البهنق(2)

وليس سوى سكاتك من جواب
وأين به صريخك والميضق(1)

وأين رسائل الأشواق ترجى
وأين الشوق للأحباب حق
نحن هنا بلا وطن وأهل

(1) المرأة في جاهلتها وإسلامها. 196.
(2) يخشخش، يصوت بالخشاحيش، البهنق: محلة عن (الهنوب) وهو الأحمق، أو النمام.
(3) السكات: علم أراد السكت.
(4) المشق: المغني الذي يرفع صوته بالغناء.
ولا دخل بطول علىه عنق
وكان المنع مـشـكلة تـدق
فطلِ مـلابـيك لا تـرق
وـقالوا: المعـامـلـي قـصرـ
بـطنـي بـنـا الغـنـي والـحال رفـت
لا يا بنت يعرـب خـيرـنا
إلى تصفو الموارد وهي رـنق
كم من فـتى تحمـلت مسؤولية والدها أو والدتها أو الأـسرة، بل كـم من
فقدن أزواجهن وهن في مقتبـيل العمر، ووقـننْ زهرة حياتهن، وصدـنـن جماح
الرغـائـب في سبيل تربية أولادهن، وضحيـن بمباهج الدنيا كلها مـؤثرات
المكابدة والكدـح لأولادنا حتى أنك لا تجد شـريحة من الشرائـع إلا وفـيـها
مثـلاً من هـذـا النوع، فالمرأة تقوم بدور الأب والأمومـة معا في حالة غياب
الأب تماما كما يفعل الآباء.
والرجل حين يقتضـد الابن فإن الـبنت تحتـل المكانة تلك فتتحمل أثـال الأب
في أمـراضه، ووهـن شـيـخوخته، وـهـو لا يقتصر على همومه الذاتية حين
يجادل ابنته إنما يشركها في توجهاته الفكرية وآماله المستقبلية. يقول
حمزة شحاته:
يا أبنتاه: أذربي رأسك
في أهـق الأحلام

(1) دقار لعله يعني (الدقة) وهي الزمت السحوب.
(2) الماء الذي فيه تراب القدر.
(3) حمزة شجاته، الديوان ٢٥٢.
وانتظري - مثل
أن يتحقق - حلم منها
سيطّر الليل... نَمّ سبئول
ولكن ليس إلى غير نهاية
لم يَمْت الفجر
والنور ولُوّد
والصمت المطبق ينسج في باطن
أكفان الظلمة بألف الأيدي
يَغُزل رايات... تحمل شارات الإصرار
والصمت عنيد يا ابنتاه
والصبر رماد تكمن فيه النار
ويسكن القرية مفتاح الأمل الموعد
ما زال يُلجلج في الأفقال الصدئة
ويحركها من نوم طال
والفقي يتشكي لابنته إدبار الدنيا وجدبها فقد كان يمرح في رياضها
الغناة، واليوم أدبرت عنه وولت لكته مستسلم لقضاء الله وقدرته، ومؤمن
بتصريف الأحوال وتقبلها يقول:
ابنيتي! ولقد رعبت... تت ك طفيلة بين المراضع

(1) حمزة شهاته، الديوان 336.
حتى استويت خريدة
فكانها السحر الحلا
ل، كأنها الأمل المسارع
واسست قلباً مزقت
به الماضيات من المباضع
قـدر أطاح بمقبلتـي
إلى التمر إلى المضاجع
كان الضياء له و كان
الروض يهجر بالسواجع
ولا زهد، ولا مـنابع
فغدا كقرير.. لا طيور
لكن ما ضاق ذرعاً، واستطـ
على مصائب القطـوار
فهو القضاء.. وجل ربي
على منازعه المناذر
هل فضلت الأم، تحـمـ
نهما الأمان، عانات، والبراقع
رضيـنـا المنيب له الاحتقان
كاـنا ودائع، فـاسترد
فـأزهرت مني البـلاقع
ولقد حبيتي بالعـزاء،
ثم هو يسدي النصيحة لا تتقرر بزخرف الحياة، ولا يكمن همها جمال
الشياب وكثرة الحلـل فإنها زائدة. ولعل الالتزام بالتوجيه الربياني،
والعقلانية في التعامل والاعتدال في تصريف الأمور، وأخذ الحيطة لما
يستقبل من الأيام:
وـاستـل من قلبي المواجه
ةـتـرت بـه الصـوادـع
جـبـرة فكنت تراـقاً
وـبدـت هاتحيك الزهوـر
فـكني الـضـمـير الحر تبدو
كنت النـسائـاً ناديةً
داميات، والـضـواجـع
من هـذاه لك المـطاليـع
- 111 -
هو للوري ذو الرشد والتنورة
قُومي والأيدي النواصع
ذلك الملابس والرقصات
إني أخشى عليك من
وأخشى من عبث الغروق.
فَإيَّاه بِإِيَّاه المشابيع
يحاين في الحياة من الصنائع
حَمْتَك سَوابِق المدارع
فِي ضَارع ضَارع
وَرَبَعَتَك أَفْتَهَةَ الخَلائِق.
أنا راحٌ عما قريب
فَسَّفقت من بعد المناهل
وهو يقمنها بتجارب الحياة التي محضها وسبر أغوارها، وهي مشاهدة
للعيان، فما المظاهر الأنيقة، والأشكال البراقة إلا طيف رأيل لا قرار له:
"ما في الحياة وأهلها
إلا القليل سوى السفاسف
وتأفف من المشارف
ويستنير إلى المتلاكف
لا يأنفون من الحضيض
ويقلبون بالفكر الوضيء
بين اللذاند والمتأسف
من أجل متعة ساعة
والقدم يلام الحب من
وين الشخ باليزخارف
أو حين يعمد للفضرا
ر من المبادل والمقصص
ما عندهم قدّر لأفكار
الكرام ولا العواطف
لا يعرفون الخوف إلا" (1)

(1) محمد حسن فقي: الأعمال الكاملة 287/87

112
والشاعر عبدالرحمن آل عبدالكريم يدلف إلى ابنته (غادة) بعد أن
أعيته الحوادث، كي تخفف عليه من وطأة الحياة التي أبدت غيابه، فتكالب
الإنسان وخدمائه، ومكره الخفي، وتجاوز حدوده على الشاعر قد فجرت
مشاعره. وألهبت جوانبه، فأصحاب الحقد الدفين لتركونه بحاله، إنما
يوجدون نار الفتنة من حول الشاعر بل إن الشرير والقرنين كلاهما ينسج
مؤامراته كي تنال من الشاعر فإذا هو يفزع لابنته التي هي بمثابة الطبيعة
التي يهرب إليها الرومانسية، فهي تضمج جراحه، وتشفى غلبه، وتجلو
همومه، وتمده بالحنان والرقة والملاطمة التي يفقدها عند من يحيطون به،
فهي مصدر الحب، ومال الصديق الذي يصدقون:

أدرَكْيُ مُنْتَقِدَيْنِي
قُرْرَتْ مَنْهَ جُمْشُونِ
سَعِيدُ كَحْزِينَ
عَنْ مَسَتَّاتِهِ السَّنِينَ
عَنْ ذِوي الحَقَد الدَّفِين
مُنْقَدِيَنِي مَنْ حَبْبِ
إِنْيُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
كَلَّمَامَةً رَمْثُ الْإِنْثَائِي
عَنْ بَنِيَاتِ الْليْالِي
وَاجْهَمْتُنِي تَرْهَثُ
عَنْ الأَمْمُ والمَشِيْن
بِمَتَعْتَضِي وأَنْيُني
ثُمْ وَلَى لا يَبْيَبَلْيَا
أَحْمَدَ اللهُ لَأْنِي
إِذَا هَمْتُ اسْتَبِقَأ
سَعَدُوا طُفُوقٌ فِي الْأَقْدَالِ

- ۱۱۳ -
أو ما تدرين آني
أجعل الصبر سلاحي
ملء سمعي وغيوني
ولما التحم القصبي مع العمل أدرك معاناته، وذهل من تكالب الناس
على المصالف الذاتية، وتبصر في العقبات التي تعترض سبيل الإداري
المالي، فانتهى كالأفعى الصلل السريعة، السماة القاتلة، ومثلهم كمثل
العقارب التي تسخى في لحمة خاطفة، وهو في خضم العمل تدعو ثغره
(بارا) إلى رحلة أسرية لكنه يعتذر إليها، ويوكل معالجة قضايا العمل:

أبي إلا تصحبنا إني
أود أن تصحبنا يا أبي
وانطلقت من فمها آهه
حُطت على الجراح، ولم تذهب
واومضت في عينها دمها
مُتالى على الخد، ولم تسكب
وعاتبني كبرت دميتى.
وهي التي من قليل لم تعتب
اهكذا تهمجمنا يا أبي
لزحمة الشغل، وللمكتب
والشاعر القصبي يخاطب ابنه بارا، لكنه لم يتعرض لحالتها غير أنه
جعلها متنفسا يحاددها عن حالته ويبث أشجاعه لهذه الطفلة، فالأنا تظهر

(1) عبر السنين
في قصائده حتى مع أحب الناس إليه فهو يصور لنا انهماكه في الأعمال العامة في الوزارة:

يا أجمل الحلوات.. يا واحتي
عبر صحراري الظلمأ اللته
أبوك مـذ أظلم فـجر النوى
يوضع بين الصل والمعصر
يضعـحك.. لو تدرين كم ضـحكة
تنبع من قلب الأسي المـثـعب
يلعب.. والأحمـزان في نفسـه
كـرحشرجات الموت لم تلعب
يودـولا الكـبيـرـر لا وانـه
اجهـش لا غـبت إلا تدنهيل

وإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى في عام 1401هـ نجد أن القصصي يعكي
سيرته الإدارية من خلال مداعبه لابنته يارا قاتخذ المنهج ذاته، فيحملنا
ويحمل ابنته معاناة الشيب وما يعمله في دواخله من تفطير في القلب
الذي لم يصمد أمام صراع الحياة، الذي دفعه إلى البأس من صلاح
مـقصـد الإنسان وعمله:

مـائات عـلى الشعرات البـيض تقطفـها
يارا .. وقضـحـحك " لا أرضي لك الكـبـرـرا"
يا دمسيسيتي! هوك طارد المشيب هنا
فما احتيالك في الشيب الذي استتر؟
ومما احتيالك في الروح التي تعثبت؟
ومما احتيالك في القلب الذي انفضترا؟
ومما احتيالك في الأيام توسعتي
حراً.. وتسألني: "من يأتي انتصباري؟"  
يا دمسيتي! حاصبرتي الأربعون مذيد
مجنونة وحصارباً أدمت العمومرا
فموين يرد لي الدنيا التي انتصبعت؟
فموين يعجد لي الحلم الذي عببر؟
ما الشيب أن تضقت الألوان نضرتته؟
الشبيب أن يضقت الإنسان مندحاً
ومما بكريت على لهنوي ولا ممرحي
لكن بكريت على طهري الذي انتصبحرا
إذن فالانت اضحت واحة خضراء فواحة العبير، لأبيها بثها أشجاعه
واللهم، ويبوج بأسراره، ولواع نفسه وهي جدية به ولو فعلت البنت مثل
هذا وجعلت من أبيها مستشاراً تبوج له باللهمها وأمالها لوجدت نعم الناصح
والمعين بإذن الله.
ويصف زمخشري بنائه بعد موت أمه، ويتمزج معهن في حزن شديد
وكأن حزنه على زوجته يماثل لوغتهن أو أشد:

- 116 -
اني ببنكن ابكي شبابي
ويحست خطوه في طلابي
أواصي السعي، معنناً في الذهب
لبيشاً ولا يرق لما بي
عما أحسبه في إهابي
عوسفا مجليلا في احتفالي
بطوي حيئاتنا في ثياب
وبهي الهواء ثائر كالمصاب
ضائع منهمون مني صوابي
قد جرى صاحبا يرجع اضطرابي
صاعدا ذاهبا بقلبي المذاب
(1)

محاكاة البناة عن بعد:
والبارودي يتآلم لبده عن بناته بعد أن غرب إلى جزيرة سردنيب، لأن
أطيافهن تتراهي له حضورهن الدائم في ذهنها، بل إن منظرهم مستقر
أمام عينيه مع طول السافرة فقد قال حين رأى طيف ابنته (سميرة) في
المضمار في مستهل غربته.(2)

تأوي طيف من سميرة زائر وما الطيف إلا ما تريه الخواطر
طوي سدفة الظلماء والليل ضارب
بأرواقي والنجم بالأفق حائر

(1) مجموعة النيل 284
(2) البارودي، الديوان، شرح علي عبد المقصود عبد الرحمن ص 431 يبروت دار الجيل ط، عام
1995، 1995
فِيَا لَكْ مِن طِيْف أَلْم وَدُونَهُ
تَخْطِيّ إِلَى الأَرْض وَجَدَا وَمَا لَهُ
آَلَمْ، وَلَمْ يَلْبِسْ وَسَارُ وَلِيْسَتْهُ
تَحْمَلُ أَهوُال الطَّلَام مُخَاطِرًا
خَمْسَاءَةَ لَمْ تَذِرْ مَا لَهُ وَالسَّرَى
عَيْقَةَ أَتْرَاب تَوَالَّى حَوْلَهَا
وَلَا هُدَى إِلَى الأَفْق مِن مَتَّاعٍ
غَوْافِلَ لَا يُعْرِفُن بِمُعَيْشَةٍ
تَوَدُّون خَفْض العَيْش فِي ظَلٍّ وَ الدَّوَى
فَهُن كَحَنْقَد الشَّرْيَا تَأَلْقَتْ
تَمَّلُّهَا الذَّكَرُي لَمْ يَسْقِي كَأَنْتِ
فَطَوْراً إِخْالٌ أَنْظُم حَقًّا وَتَأْرِي
فَيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فَيَا رِيَا أَمْرِي يَوْمَأَلَّهُ وَإِلَى اللَّه صَانُرُ
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام فَرَقُن بِينَا
فِيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْبَيْتِي
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْس وَهُيَ حَيَاتِهَا
فِيَا نَكِنَّ الأَيَام_F_
فالمقارنّ يشاطر البرودي غزته ووجهه على أسرته لا سيما بانه اللاتي
أبعد عنهين، فهين عائقت بأحاسيسته، مستوحضات على تفكيره. وإن أخذ
يورد أمثال تخفّف عليه وعلى غيره لكنها تأمل الصابر المفكر. ودعوة من
الشاعر إلى التأمل في معبرات صفو الحياة والتحذير من الركون إلى
المباهج والانغماس في اللذات.

والغربي يبعث برسائله الشعرية إلى ابنه (أميمة) حين كانت تدرس
بأمريكا وهو يفتقدها في بيته. فهي شذة الأزهار، وهي قرة العين، وهي نبع
البهجة في خضم الحياة، ونكذ الكهولة. كانت بسمته وريحانته في داره
وهي بمثابة العطر الذي يجدد حياة المرء وينعشه:

"أبنيتي يا حلوة الشمائل
يا وردة نفتّن في غلالن
على ليل شبيبتي الأفائل
زهرة تنضج بالطيب وبالنور
عطر على زهر حياتي الدابل
في هذه الأصحار، في الأصائل
دعت الله الرحمن ما أنتبه
والشوق في قلبي وفي مشاعري
فكيف حال الشوق يا ميمتي
وابنها متواجيد في قلبه ومشاعره، وأمام عينيه في أحلام يقطنه ونومه
هي العصروف المفرد في بستان حياته، وهي ملء يحثه يتوجس عليها في
صحة و عملية ودرسه، يردها متكاملة الجوانب:

"الداريا أميم ما عهدتها
مزردئ بالعشب والخمائل
والآزهريات التي أحببتها
والعاصفية وبالبلابل"
فقد بدأ النرجيل في أشجاره
تختشى عليها الريح أو تضمها
والبرتقال لم يزل مخضوضاً
والجو ساحج والهواء كأنه

وهو يدفأ إلى غرفتها، فتثير أشجانه، الدمع والمتصاوير والهدايا التي
جلبها لها، لكنها بلا حياة عندما غادرتها ابنتها إلى ديار الغربة:

فيها تصور حمام الزجاج
غرفتك الزهراء يا أميتي
وأن من شوق أنين الشقاَّك
تكاد تو دبَّت به الروح شداً
لكنها تترنَو بطرف سائل
عوائل الأمصار في مكانها
منى تجئ؟ هل أنا أجبها
وأما على وحد لقاء عاجل
لا يمكن في صوانها
لكنها في صمتها كالنادِل
وكل مشتاق إليك أمل

ويرسل المغربي قصيدة بعنوان (رسالة من والد ) إلى ابنته، تفيض بما
يمتجل في أحاسيس الآباء نحو بناتهم، فبالنسبة لمناظر الأبال شعاع من
الحسن، ورحمة وأي رحمة إنها الرحمة البيضاء، وهي غير مشروعة من
الحنان صافي الماء نقي بالهواء إن من تحمل هذه الصفات لا ريب من كونها
تهز مشاعر أبيها حين سفرها وبقائها في الغربة:

يا ابنتي يا سنا الشعاع من الحسن
برثاً كالرحمة البيضاء
ديراً من الحنان طهوراً يتجلى في طلعة من بهاء

(1) محمد الحسن، محمد مغربي حياته وشعره، ٤٧٩، مخطوط.
ليت شعري وقد تنازعنا البعين
كيف لا تحل الصور بمرآك
كيف أرضى البعاد بعد اللقاء؟
ومتعة الأنس بمجاسسة الأسرة من بين وبنا متعة لا تعادلها متعة في
نظر الوالدين، لاسيما حين تكون المؤاسة والمداعة، والحوار النكря يهيم
على المجلس، أينما يغيب للأولاد آن يشبو على ملاطفة الوالدين ويث روح
الحياة في المنتدى الأسري، وأن يكون الابن أو البنت هاشماً بأسماً نواليه
واخوته، ولا يكون مكنفر الوجه عابساً ولا مقطب الجبين، فليس هناك
بخل أشد من بخل الأولاد على وانديهم بالمؤاسة والمضاحكة والملالفة;
ونحن نجد أثرها في نفسية الشاعر حين افتقدها بسفر ابنته:

فُسّر لي في مجلس ليالي
فما شئت من فنون الأداء
ودركاً تلقّى بلا إنساء
تبعث البشر في الوجود الوضاء
بعد أين واحجة من عناء
فضيكت الثناى كل الشناى
كانت أنت الضخاء أن ذكرى الدرس
كانت مرحـاً يابنتى كل معنى
فـ إذا شـاهدك الحنين إليـنا
فـاذكرى آننا إليك ظـماـء
وأذكرني آننا ارتنينا لك البـعد
وأذكرى آننا نعت على المجـد؟

- 121 -
يا ابنتي يا ابنتي سفيرة إلى العلم
لك من نفسك الطموح إلى المجد
وأول من تحدث عن الابتعاث في بلادنا محمد مغربي حينما ودع ابنته للدراسة في أمريكا في القصائد السائقة وهذا إبراهيم بن سبيل يتحدث عن ابنته وفاء:

حينما أبلغت هذا قلت "طلت
حسبوا لي عشر ساعات فقط
غير تلك العشر والباقي فرط
أين ساعاتي التي أمضيتها
أي جهل منهم في مستوى
جامعات العرب ذا عين الخلط
لغة الضاد التي علمتها
في ديار العلم في أعلى نمط
ليس في قولتي إدعاء أو شطط
أين منها لغة غريبة
رطابم فيها "كونة "القطط
ويتحدث بلسان (وفاء) عن طبخها بمناسبة زواجها وانتقالها مع زوجها إلى أمريكا:

قال سعد تذكري يا وفاء
يأخذك بتدور علي رأسك، يكون الحساد
وإليه يبين اللمعان من كل صنف
أحسن الأكل ما شوتي بفطر
والملتازز والجريش لنفسك
خبر ما تطبخين يا حسناء
إني في الشؤون الإطلاع
لما في الطبخ همتي تجارب

(1) محمد الحسن، محمد مغربي، 485 مخطوط، 122
إن طبخت الجريش في اليد يجري
حبة طافح وياقية ماء
وينقل قلب الشاعرة سلطانة السيدري مع ابنتها (نداء) إلى رحلة
العلاج، فأمان مثقلة بمصير ابنتها، وبباعد العهد عنها وتتنمى قربها، بل
معانقها وملامسة شعرها الذي يمثل لسة الحنان الأمومي:

فقد أتَّفل القلب هذا الضنى
ندائي أجيبي النداء البعيد
تحملت في البعـد كل العنا
وأصبحت ظلالً شديد الشرود
تُشعر روحي بطيب الها
عسى الله يوماً بقرب يجود
ندائي: فـذادٍ إليك يعود
فميلٍ مـسعِرٍ. ورد الخدود
يضانق وجهاً منير السنى
يوماً وفقيباً الحنين الوعد
ضانك أنت عصـز المني
إن أبعـدتني عنك الحدود
فقلبي يرـى عندك الموطناً

ويصور علي القيمي مكانة الأبنة لدى والدها، فهي مل، قلبه وفكره وهي
نمض فؤاده بل هي حياته ولكن هذا الحب كان نتيجة لصالح ابنته، فهي
رائقة الكلام عفة اللسان، جميلة المنطق، لا تند بالفاظ فاحشة، وإنما
حديثها تسيلة للفكر والنفس معاً:

يَا أبنتي أنت ملء قلبي وفكري
انت نمض الفؤاد أنت حياتي
وصفات تليق بالفتيات
جعل الله فيه خبير الأزاي
يشبه الدرر رائع النغمات
إن تكلمت فالكلام جميل

---
(1) سلطانة السيدري، على مشارف القبل 98، نشر الفردوزي للذاعة والإعلام، وهي شاعرة
سعودية من أوائل الشاعرات المعاصرات وكاتبة مشهورة.
ما تفوّهت بالكلام جزافاً
وردتْ أنت غضبةً وشدًا دها
كلما غبت يابنتي عنكم فاضت
وأنت أيتها إلاّمتها الغاية مصدر سريوري، وراحة بالي، ونحافه هموّي
فلا غرابة إن أشتكى إليك، وتهماّ نفسي إلى نفاؤك ومحادتك، فانت
جمانه الحاضر وطينه إذا نأت بك الالياني والأيام:

لا أحسُ السور يختال في الصدر
وشتبيقي يلرخ قلبي
إذ قلوب الآباء للفلذان
فجزعُ ونُفجعُ في اضطراب
وارى طيفك الجميل أمامي
كلما غبت عليك هاجت شجوني
لا أرى الضهر مشروفاً يطوي
لا أرى الورد يّبئس النفس في
والميل الجميل يصبح مصطف
والنسرُ العليل أحسه الإعصار
توعّدة الوالد الحنون على الأبناء
إنهم قرة العيينة ولكن
تهداٍ النفس حين انظر عينيك

زواج البنات عند العرب:

(1) زائر الأمس 89

124
سنة الزواج من السن الكونية التي تهمها الله آدم، وسناها في ذريته، فهو نبي مأمور بامر الله.

وكأن كانت طريقة تزويج آدم لأبنائه كما يحكى ذلك التاريخ أنه يأتي له التوأم المكون من ابن وينت فيزوجه بالتوأم اللاحق لكي لا يتزوج التوأماني حتى تباعدت الأسر فلما وجد ابناء الأآخة كان الزواج بينهما. وفي ذلك رد على من يدعى الطوطيحة التي يرى الفكرة المنحرفية في أن البداية لمعرفة الأم بلا معرفة الأب، والتزويج عند العرب بل عند الأمم متعارف عليه فهم يحرمون الأمهات والأخوات والبنات.

وربى الزوجة رباط مقدس عند العرب توارثه عن آبائهم وأجدادهم فهو يُعتمَن به، فهو مقدمة لبناء البيت جديد يتفرع عن أصل ل التواصل البناء الأسري، لأنه مناطة وغاية الأمر للخليفة والنفثة ليكون لهما كيان خاص يستثمرن الاستقلال، وتحمل المسؤولية الجديدة ولكي ينجبوا الأولاد الذين هم زينة الحياة في نظر العربي. وكذلك فإن آباء الزوجين يفرحان ويبتهجان بزواج أولادهما، ليشعرا باكتمالهما رجولة وانثوية وكيما يريا نسلهما. وحكم من آب وآم تأتم ألا شديدة حين تأخر إنجاب أولاده بنين وباتن فان يعمرية عنه أن المال والبنون زينة الحياة، ومما جاء الإسلام فضل الأعمال الصالحة فقال تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباحيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملاء" (الكهف 44). من هذه الحب العميقة ل التواصل النسل وتكناري الأولاد، فإن المرأة تتمنى وتسعد بحضور زواج أولادها. وكذلك فإن الأب يسعى جاهدا لتزويج أولاده بنين وبنان، بل يعين على ذلك ويبذل في سبيله غالي النفوذ، وتفضل المال لهذا العربي وزوجه اللذان استشعرا ثقل المسؤولية حينما تأخرت بناهما عن الزواج وبعثي من زوجته على خلاف ما عرف الزواج من العدل عن البند لا سيما في الشدائد - لكنها من أجل بناتها أشارت عليه فينجر ناقته الوحيدة.
للأعشى وهو متجه إلى سوق عكاط فقال قصيدته المشهورة التي انشدها الأعشى في السوق فاسرع عليه القوم لخطبة بنائه ولم تبق منهم باقية.
وفيها يقول:

لعمري لقد لاحظ عيون كثيرة
تُشبّه مقرورين يصطليان
وبيات على النار الندى والملحق
وأخرى إذا ما ضّن بالزاد تنفرق

وتعني العرب بأفراحهم الزوجية لما يصعبه من معالم الزينة والبهاء وما يقدم فيها من الموائد متنوعة الأشكال، ولا يجتمع فيها من جموع.

والممارسة الألعاب، فهي أيام فرح وسعادة، كل فرد في القرية أو القبيلة يكون هناشباً باسماً لهذه الليلة الأمينة، فانفساً، والفتى يلبسن أبيه الملابس، والرجال يستعدون لأنواع المحاورات الشعرية، والألعاب النزمية، ومسابقة الهجن، وقد كتب عبدالله عفيفي عن زواج العرب في جاهلتهم واصفاً يومي الأملاك والبناء فقال (1):

"وفي ذلك اليوم يأخذ ذوي الفتاة زينتتهم، ويجمعون فاصيتهم، ويبددون في ساحة دارهم، أو ندى عشيرتهم، وفي صدورهم وليّ صاحبتهم، مرتدية بردى حبرة متحللاً بالخلوق. وهناك بقدم رجال الفتى، فيهبطون من أفواههم ونظرائهم مهبطاً كريماً. حتى إذا اطمئن بالقوم المكان أنشأ ولي الزوج يخطب القوم خطبة ريقة موناقة يكشف فيها عما تناجا به، وقدموا له، ويقدر فيها الهجر عاجله واجله، ثم يجيبه ولي مخطوطيتهم بمتلكها، يضمنها الرضا بالقوم أخداً، وبصاحبتهم صهراً، حتى إذا انتهى نحروت

(1) ديوان الأعشى، 273 تحقيقات محمد محمد حسن
(2) المرأة في جاهلتها وإسلامها، 1161، 136-
الجزر، ومدت المطاعم، وسمع الغناء من مجالس النساء. وتسمى وليمة ذلك اليوم باللقبة.

وصحبة العقد عندهم، إن يقول الزووج: خلبه، ف يقول ولي الزوجة: نحك.
وذلك حديث ذلك اليوم في أسرتين من سادات أسر العرب وهماحتهم فقد:
أرسلت خديجة بنت خويلد إلى أمين قريش ومأمونها محمد بن عبد الله -
صلوات الله وسلمه عليه - تخطبه وتقول له: أني قد رغبت فيك لترابتك
وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك. فرجع محمد صلى الله عليه
 وسلم، بالقول إلى عمه الكريم أبي طالب بن عبد الملك، فرضبه له. وأقره
 عليه، لما استقر لخديجة من نبل الخلق، وسناء الحياة.

غدا الرسول على خديجة بالرضاقة، وبأن القوم غادون في أمره. فأرسلت
في آله، ورجال آسرتها، واستأذنت عمها، فأتذن لها، وقال: هو الفعل لا
يقرر أن يفعل، ثم نهضت إليه، ففلخته بالععبر. وكسته بردى حبرة حمراء.
واقبل القوم من بني هاشم، وفيهم كريم فتيانهم، ونجيب عشيرتهم، محمد
بن عبد الله، فنزلوا من بني عمهم أكرم منزل وأسناهم. وهناك تداول
الخطابة أبو طالب بن عبد الملك سيد قريش وإمامها، وورقة بن نوفل -
ابن عم خديجة - حبر قريش وعملها وما أنتهى القائلان نحر محمد
جبرين، فجمع بين الإملاك والبناء في وليمة واحدة.

والعرب في جاهلتهم وإسلامهم يجعلون المهر لللابلة يقولون عنهم
عفيفٍ** المهر هو صلة الرجل لامرأتة، تأخذه كاملاً غير منقوص، لا سبيل
الأحد إليه، ولا سلطان له عليه. لذلك عدا من اللؤم المؤتشف في نفس
الرجل أن يتخذ حلوان ابنته أو موليتة، وذلك أن ينفق على جزء من المهر
عفيفه لنفسه.

والأعز مهورهم الذهب السبع، والأثني العشراء، يبدلون منها على قدر
ما رزقوا من نعمة العيش. وبسط الغنى، على أن حد ذوى الجاح والسؤدد

١٢٧
واليسار مائة رطل أو مائة ناقية. وقد يجمع الرجل بينهما. فقد أمهـر
عبد المطلب بن هاشم فاطمة بنت عمرو مائة ناقية ومائة رطل من الذهب.
وليس العرب بالذين يساومون في المهر قل أو كثر. وحسبهم من الرجل
جهد همته وبعد غايته، وصفاء نسبه، أما ذوي الخصوصية فإنه يجب الرجل
أن يسوق إلى امرأته عرضا مما يباع أو يشترى وربما احتشر الأعرابي
ضبا فاحتله إلى كفيفته فكان ذلك مهرها وعقدة زواجهما. قال أعرابي:
أمهرتها بعد المطالضبين من الضباب سحبين سبطين
لا حبة نعم لعمر الله مهر العروسين
ذلك مهره الذي أبر به على غيره، وتجمل به على صاحبته، وعهد تأثفا
في البذل وإفراط في السماحة. ذلك مهر العروسين.
والعرب يقولون: الزواج ثلاثة، زوج مهر، وزوج بهر، وزوج دهر. أما زوج
مهر فرجل لا شرف له يسني المهر ليرغب فيه، وأما زوج بهر فالشريف وأن
قل ماله تتزوجه المرأة لتفتخر به، وأما زوج دهر فذلك الكفاء الذي لا عيب
فيه».

وحدث عفيفي عن يوم (البناء) عند الجاهلية فقال:
لا نجد في مأثر حياة العرب ومعدود أيامهم، يوما آتمن بهاء، ولا أعـ
صفاء، ولا أبدع رواة، ولا أكثر ضبيان، ولا أجمع للبهيض الهنٍ من محافظهم،
ومعالم أفراحهم - من يوم البناء، فهنالك يتبارى الفتيان فيلعبون بالرماح،
ويستضرون بالصفاق. ويستبقون على متوه الخليل، أما بين بدي الدار، وفي
حجراتها، فهم يبسطون الأنماط، ويشدوها على الجدران عليهم النقوش
الم grosse والصور المزينة - تلك التي استذكرها الإسلام وأطرحها في
أعراض المسلمين - وعلى النمراء المصفوفة. والزرايا المبسطة، يجلس
النساء، ويأخذ فتيانهن فيما عف وظرف من ضروب الله وفنون المرح.
فأما الليل فأحاسن ما اكتملت به نواضير العرب حتى جعلوه مضرب أمثالهم
فقال قائلهم:

"هائلة سأ ليلة العمرو" 

فهنالك تجلت الفتاة، وينفرغ عليها الحلي مما تمثل وما لا تمثل، لأن قومها يستعيرون لها أمتع ما في الحلي من حلي. بل ربما تجاوزوا حيهم إلى ما سواء.

ففقد استعار عتة بن ربيعة وهو في الشرف الصميم من قومه - حلي بني أبي الحقيق لتزف فيها ابنته هند على أبي سفيان ورهنهم ابنه الوليد. فاقام بينهم شهراً ثم رد الحلي موهراً.

في ذلك الزئبق تسير الفتاة في حشذ من لداتها وأترابها حتى يصلن بها إلى حجلتها. فينشئ الإمام يرقصن بين يديها، ويغنينها بما إنها أبائها. والغر المييين من قومها. وفي ذلك الوطن لا يحتاج النساء عن الرجال.

وال_THREADS المعاصرة هي امتداد للمعادات القديمة مكونة من ليلة العقد "الإملاك" وبعض الدول العربية يسميها "كتاب الكتاب" وهي يتم فيها كتابة العقد من قبل المتأذن الشرعي المكلف رسمياً، وبعضهم يقدم فيها بعض الأشربة والأطعمة وفي الأغلب تكون خاصة بين أسرتي الزوجين.

وهي تقدم بعض الهدايا الذهبية. يرى الزوجان بعضهما بلا خلوة ويتم انفصالهما حتى يتم ليلة البناء أو الدخول وتسمى "الدخلة"، وفيها تقام الولائم للرجال والنساء وهي متفاوتة بحسب طبقات المجتمع. وتأتى يسودها الهدوء فيقتصر الحفلة على أفراد العائلتين وبعض الأصدقاء، خشية الإسراف. ومن خشيته أيضاً أن يصير بعض أباؤه الفتيات على أن تكون ليلة الإملاك هي ليلة البناء في حل مصغر لطيف، وفلسفته في
ذلك كي لا يكون هناك إسراط ولكي لا يحمل الزوج ديوناً مادياً تتشكل حياتهما الزوجية. وهناك من الأسر الشعبية غير الواقعة من سرقة في المهر، وسرقة في متطلبات الحلي، وسرقة في الولائم وهذه مما أثقلت كاهل الزوج وأسرته، ونفست مستقبل حياتهما الزوجية.

أما الأسرة الثقافية فإنما يبذلونه لا يؤثر على حياة الزوجين بل بعضهم من الذين يقتصر الأوروبيون الحفلة ولا يسرفون والذين يشهدونها جمع قليل من الأسرتين. فكثير من الأثرياء أقل إسراطاً من عامة الشعب.

والواقع أن قصر النظر والتباهي حول الزواج إلى استنزاف مادي للمجتمع في الملبوس والمأكل. بل إن التعليم الواعي الواضح وغلبة زواج المتعلمين لم يعد من هذه الظاهرة بل لم يسمح مساهمة فاعلة في ذلك.

مع أن الأمهات والبنات والآباء كلهم متعلمون لكنهم يجارون المجتمع، فمنهم يقتدون وعلى آثارهم ينهجون. فاين الفكر الواعي، والعمل الصالح، ومراقبة الوضي، والمثلية من غضب الله؟ ليست أدير هل تحمل المرأة والبنات المسؤولية مع الرجل حين يدفعهن إيجاراً لعمل ليس نياً؟

ومتامح الحفلات في أيامنا هذه ما كان في (الفندق) الفخم، بمبلغ لا تقل عن مائة ألف ريال، وفيه تقدم أصناف الموائد وألوان من الأغذية والأشربة، ثم يضاف إلى هذه أجرة المغنين والموسيقى.

ومتامح الأطراف عند أبناء القبائل النافذة يسرع أكواص من الذهب تغطي الرأس تارة وتارة تتمتد مع طول الشعر، وتارة يغطي الذهب الصدر ويصل إلى الأحشاء، وليلة الزفاف في قصور مادة، يُبحر فيها عدد من الإبل، والخراف، ويتدفّق بأكثراً في صناديق النظامة، إن استمرت ثم يدفع بما تبقى إلى أماكن خالية خارج المدن.
من مظاهرها ما يسمى (بالقود) وهي (المنعونة) يلتزم بها أفراد القبيلة
بل كل مدعو إلى هذه الوليمة، وفيهم الفقراء والمساكين والمحتجون الذين
يتبرمون لكثرة الحفلات عند الأقارب.

ومن مظاهر الإسراف انتشار ظاهرة دعوة شعراء المحاورة وإعطائهم
أجراً إلى جانب المغنيات للنساء، ويطلق عليهم (الدقافات) أو (الطرقات).

ومن أفتك هذه المظاهر الألبسة فهي عامة، ذات كلفة عالية، يلتزمون في
كل حفلة صغيرة أو كبيرة بملابس جديدة لا يتكرر مما أثقل كاهل متوسطي
الدخل، وأخرج الفقراء، لا سيما العنصر النسائي. فإنهم يتنافسون في
الألبسة.

فهل من معالجة للقضية عند المعلومات وما دور المعلومات، وفتيات هذا
العصر الواعي؟ إننا ننتظر الحل لسائر هذه الجوانب، فكثير منها تخضع
لأرائهم.

والشاعر عبد السلام هاشم حافظ من أولئك الشعراء الاجتماعيين
الذين رصدا حياتهم وحياة أقاربهم بنينياتهم الشعرية، فهو قد تحدث عن
 زوجاته وعن ليلة زفافه وعن مولد بناته (الزهراء) و(النصراء) و(ملكة).
ونظم في زواجنهم وcoma قاله في زفاف ابنته الزهراء قصيدة رائعة بصف
تسم الزمان، وتجاوب الأزهر، وتالق الأنوار في ليلة الحفلة ويشير إلى
حنانه وعلمه عليها:

يُسم الزَّمَانُ ورَفَضْ الأَزَهَارُ
وصححو له الأنسام والأطيار
فِيَنا الصُّحَابَ وآقب السِّمْار
نيروزُها بنيتٌ.. هي التذكَار

- ١٣١ -
بعضي وفُقدة كيدي الأولى لها
كالقلب في الدنيا به الإيثار؟
ثم يعرج على الخطبة وتقدم الخاطب، وترضية الفتاة المتزوجة وتوديعه
لها بين الفرح بزواجها والألم لرحلتها من داره:
حتى إذا جاء الخطيب لودها
سُبحُ غَرِبِتها ولا يهار
وَدعتها كمَودع روَحَّالله
يحتو عليها... وَذَهُ إَكَبار
وينمئي لها السعادة ويكشف عن علاقة اجتماعية حين يرى أن زوج
البنت يصير كالأبناء يعزه به ويعز الأسرة ثم يوصي الزوجين بالتواء
والتراحم ومراقبة الله:
ورجاه تسعد في جوار الفيَّها
واراه كابني عَبَّزُه الأنصار
بين السمو... ويصُدُّ القيثار
يتبدالان العطف عبر لقاهما
وتحودنا نحو العلا أفكار
وبناها نسب هُو الأسرار
زهراء... هذِي سنة نحيا بها
هي سنة (الهادي): حبيب قلوبنا
لجهادنا في الله نكمل ديننا
نسعى يحْضَرُنا لِه الإسرار
الطهر والتقوى بها نختار
أوصيك يا ابنة عالم بأموره
تمضين عمرك في ظلال تأليف
وجوها بين البنين كشاعل
تهيؤه... وترنو حوْله الأزهر
وعليكم نور الهدي مُدِرَأ (١)

(١) عبد السلام حافظ، الأربعون ١٤٣٤، ط ١٤٣٠ – ١٩١٣ – ١٣٢٢
وعلى زين العابدين تحدث كثيراً عن بناته في شعره فقد تحدث عن مولد ابنته تنريد وقال قصيدة في زواجه، وسمى ديوانه باسمها، وخطب ابنته نجوى وهزينة وما قالته في زواج ابنته الكبرى تنريد قصيدة الرائعة تسجيل فيها طريقة الخطبة وأن الشاب تقدم لأبيها فلهما ارتداء قدمه لابنته مادحاً له واثقاً فيه، مكافئاً لها:

قلت يا زهرتي أشافك هذا
اتودين أن يكون قييرنا
لا تسنني فقد رضيت الصيرة
تممت زهري حبياءً وقالت
قلت بشراك إنه ذو حنان
بادلني الحنان والحبر ضعضا
واقتراحي حوله العواطف شتي
واطنعي يا ابنتي فهمو بز
إن أطمث الحبيب كان ظورة
ما بروضي فلن يكون كسفورة
يقدر الحب والهوى تقدير
فأبقل نصيبي إليه فهو (حبيب)
فالأدب يوصي ابنته بأن ترعى بمشاعرها وعواطف الحب، وأن لا تكون استمتاعاً سماها بل ربيع الحياة وملجأ المتعب، ووضع الهارب من نكد الحياة إلى واحة المنزل والأسرة، فهو يؤكد أن عوامل الألغى، تبادل الحنان، والعطف على الزوج، طاعته فإن نعم بالآنس، أتهم به على زوجته.
والشاعر زين العابدين يصور لنا ليلة زهاف ابنته إلى فارس أحلامها

(1) ظورا، عطرفا حانيا
(2) على زين العابدين، ديوان تنريد، دار العلم، جدة ط 1400هـ ص 62
وشهي في أبهي حلالها، وأكمل زينتها. وقد تألقت جمالها وفُتح عبيرها وأكست
الحِلة البَيضاء الأنيقة التي تسحب خلفها، وهي تزدهى فرحًا خجلها بِلَفها
الحياء المشوب بالفرح، فندرك الأب أن ابنته تجاوزت مرحلة الطفولة
فَكَتَم دوره وأسلمها إلى عش الزوجية .

وهو يرسم لوحة جمالية مسرحية للمفتاة في ليلة زفافها، ويشور لنا
طريقة الزواج التي يظهر عليها التأثير بما يجري في العالم، فالفتاة تلبس
أبهي حلالها، وتتألق كل التألق، وتدخل في صالة مصفوفة المقاعد، وقد
أعدوا مكانها جميِّعًا مَرْزًانًا بالورود والزهراء والإضاءات الملونة للزوجين،
فيجلسان معاً أمام جميع النساء الواقفة، غير أنه يُعلن لهن قبل دخول
الزوج واقفَين، ويحتجِّين:

ارأيت حسنًا بهاتها وقوامها
نحو تُرف إلى فتى أحلامها
ارأيت أملودًا تأود وانشئي
أرمِتاء مَجَلَّة مُختاحة
بالأبيض المسحوب من هندامها
بحيائها كي لا تشي بِهيامها
خجل فيتجبه شقيقُ نُتُها
ما أجمل الغيضاء حين بَزيَنَها
فِيِذا الأَنْثُوْة ابنت بِتمامها
قد كان يحسبها خيالي طفيلة
إِنَّ لِإِفْرَك نَاظِر مُتَحَقَّقًا
أَصِغِّري بلغت سنِ قِطامها
ألَمَس كَانَت طفيلة (دُلَّوعة)
كانت تَدَّعَيْنِي بلُغُ كلامها
كم كان يُطَرِي تَرِقُي بُغامها(1)

ويستعيد ذكرياته مع طفَطِلَة ابنته التي لا ترى له مَنِيلاً فَعْلَ الحبيب

(1) على زين العابدين، ديوان تردد، دار العلم، جدة ط.1404هـ ص22
الوَحِيد، وإذا بها تنتقل إلى غريب عنها، والشاعر يصور مباهج الضرح 
وبينتقل مع العروسين خطوة خطوة، فيبدأ بتشابك الأيدي ويقودها في حفل 
بهيج بين النساء لتعتلى مع فتاهها مجلسا في مسرح فضيع وثير مزدهريا 
بالورود والأزهار وأريج العود تفخض بأطيب الأرواح، وبراعم البريع من 
الفتيات الصغيرات يحفظن بها، وتببدأ الرقصات المصحوبة بالموسيقى 
الصابحة أحيانا وتنكون حفلا ساهرا حتى الصباح في كثير من المدن 
الكبرى.

إنها سنة الحياة، حفل للاقتراح والالتقاء في آل واحد الأول مرب منحب 

يسلم فلذة كبده إلى غريب جديد:

كفت العربية قرينا وهُماها
واليوم أصبرها بشابك كفُها

رغبت عنى والدا وتركنتي

أنتُ تنتُوقُ لبُعلاها وضمُهاها

ام أنها سن الحياة وشرعها

طابت لها الدنيا وأسعدها انها

شرع الحياة تزوج وتكثر

من يغلب الدنيا على أحكامها

إنه لا تقوى على إبهامها

لله صبر ابا نجوى فتلك شريعة

ستضل حاجنة على أرحامها

لا تجرز نفرقة موصولة

إنه البقاء يسيء وفق نظامها

ابنعتي إن الحياة غريبة

هو قوة قهارة جبارة

روضا تفضي ندى على آرامها

أحلى لديه من الدنيا ومرامها

وجه يفيض بشاشة وتودعًا
والمشتور ينطير وجهه للزوجة متخذًا من التوجيه الرباني سبيلًا لسعادة الحياة الزوجية، فهو يوصي الزوج بابنته ويوصي ابنته بتعاطية زوجها وأن تكون له روضة وظلاً للطيب، فكل منهما هو الأنيس الحب الذي يبدل ويفعّل الأخلاط، ويتجاوز عن الهمومات.

نعوي ستصبح في الغدًا (المصفوي)
هي فلدتني هي مهجتي هي مُنيتي
يا مُصطفى أهربع على إكرامها
أعدهتها أعادتها لإمامها
حقت لها الأمال من أحلامها
هُبها فؤادك مُخلصاً بوداد
وارفق بمن ولّتك أمر زمامها
فأحفظ بحق الله عهد زمامها
إني وهبتك درة مكونتة
يا ابن (الملاقية) الذين عرفتهم
بالشبل والأخلاق من أعلامها
تنوال بينكم زعيم مقامها
ولدى إني ناصح بنصيحة
فتمسكا بخطمها وستانها
إن الحياة مليئة بشروها
فحدار من أوجادها وطعامها
ومحمد علي مغربي، احتفظ بأبنته أميمة، فهو يبهج في ليلة زفافها
ويمثملها مشروفة كالبدر، لما الهيبة جمالًا وسرورًا وعماد الله ويشي عليه،
أن منحها الله الحسن والبهاء، والطهر والحياء، ويتأملها في حلة العروس
البهية التي أخذت من التقاليد العربية، ولا بهاء للثوب إلا لم تكن العروس
تطلبه، فهي التي تكسب الجمال والحياة:

أشرق كالبدر نوراً وسناً
املئ الدنيا جمالاً ورواءً
ثم زان الحسن طهراً وحياءً
وجل من سواكم حسناً وبيهاءً
ونقلاً وصفاً وذكاءً.
أي كيف نسجت عرباً
كيف لا يزهو وقد أصبح حياءً
سماك الله بعين لا تنام
ولتحب السعد صفاً كالدائم
في دروب الحب في دنيا السلام
والشاعر لم يقف عند توديعها بل لم يعلن التوديع لكونها دائمة الحضور
في قلبه. وكشف عن أمنيات الأب لابنته، فهو يحمل هاجسها الدائم فيبدع
ليلة البناء، طافت به أمانة إلى أولاد ابنته وحياتها التي يتناما سعيدة، بل
إنه تصور البيت وقد ازدان بعبث الطفولة:

إنني أرقب في يوم قريباً
قد كساء الحسن بالغبر القشيب.
ينغلي وهو كالغصن الرطب
أين منك إن تعني العندليب؟

بماً البيت ضجيجاً وحركاً
حين يصحو حين يحتاج أموراً.
وملاكاً هبط الأرض صغيراً
بماً الدنيا ابتهاجاً وسروراً.

أنت في يومي وعند الأمسيات
ذكرت تتجلى في حياتي
يشهد الضجر ندي النسمات
يقبل الله دعائي وصلاتي (1)

(1) مجلة المهبل. العدد 7 صفر 1394 م - 1974، ص 137. نقلًا عن رسالة
والدكتور عدنان النحوي يصور انتقال ابنه إلى زوجها عبدالمغني الجوهرى ويوجدهما بتقوى الله، وحسن المعارة، ويعرض على إشراق الحياة و tả لائتها في ليلة البناء هذه ليلة العرس: فهي من مباحث الحياة التي تمثل الترابط الاجتماعي والتواصل بين المبتدئين من القرابة، لكن يجمعها التقوى والصلاح و هدى الرحمان، والخلق الحسن.

لقد أتى زينه الهدية أجمع
ضمني الورود إلى الورود وغردي
على جبينك فلم يغفر الندى
ياقوت بالعذاب النفي بمسجد
حسن و في خلق وعلم مرشد
أغلى الجوهر لعمها الرحمان في
أغلى الجوهر لو علمت فتي رأى
الجوهرى. وقد رعاك الله في
أروى وعبد الله بورك فيكما
كنف الأبوة والأمومة فاسعد
من غرستين ومن رضا متغجج
لقيا الهناء بالنعيم المرشد
لله في عرس الحياة وفي غر
له خاشعة الجوهر واسجدي
واجتمعهما بالخير ملك واسعد
إن كنت غادرت الديار لغيرها
قد أشرقت داري بنوركما مما
فضي الحنان عليكما من مهجة

مراجع:
1. عدنان النحوي، نبوات مهجان القصيدة 245.
والدكتور محمد بن حسين، يموج به الحزن لفراق ابنته وارتحالها مع زوجها، فهي ستترك البيت الذي درجت فيه، وتحل إلى بيت جديد في سائر معالمه، تقوم بإدارته، فهو مملكتها، ومناطق آمالها، وهي معلم جمالي المنزل الجديد كما كانت جمال البيت القديم:

غداً رحيلك يا بنتي، فواكبنا
غداً رحيلك من بيت دررت به
دار بنتي أن تزهى جوانبها
فطالتا أسعدت داري وأحولتي
مستهلك تنال ما أضاقت 
وخلصت نداء درب آمالها
نبقت في دهان موكبها
وتصبح البيت من نواورته خالي
من الرياح في فياء وهن منزئنا
في عالمي مسترور البالي
إذا فرحنا تناحت فرحنا وسعت
وأرضعت منه سلسلة بسلسلة
(1) كأنما الروح في أرضمأهمن نمت
وسائر الشعراء ينتابهم الفرح والترح عند زواج بناتهم، فهو يفرح لفرحها بحياته الجديدة، وزفافها إلى رفيق العمر، ويتأمل لابتعادها.

مشاركة الآباء بناتهم:

الأب يشارك ابنته آلامها وأحزانها، وما سجله الشاعر من معاناة الآباء لا يمثل واقع الحياة، فالآمر أشد وأنكي وأبكي، فكم توقفت أشدته الآباء وهم يصعبون بناتهم إلى المشافي النفسية، أو تأهيل المصابين، أو رحلات مكوكية بسبب أمراض خبيثة. إن الزائر للمشافي الكبرى يجد أرتالاً من آباء ذبلت ووجوههم وحياتهم تماماً كما ينحث المرض من بناتهم، ويذرفون

(1) أصداء وأدباء 100

- 139 -
الدموع الهشة، إن الآباء يحملون أثقال الأبوبة والبنوة، فإن مرض الأولاد مرضى، وأن ماتوا فحزنا، وإن عجز الأبناء، أو أصيبوا بمرض يغدوهم، كانت الأحزان مطابقة على ضداد الوالدين حتى الموت، بل إن الآباء في أمراضهم مع شدة معاناتهم يخشون على أولادهم حتى من حوادث الطرق أثناء زيارتهم إياهم في المشافي وقد رآيت ذلك من والدي برحمة الله. إن قلوب الآباء والأمهات متنقلة مع البنين والبنات مواكبة لحياتهم إن سعدوا سعد الآباء، وأن حزينوا حزين الأباء والأمهات أداً فلا غرابة أن نجد معلماً من هموم الآباء الشعراء الذين ينقلون لنا جانبًا ضئيلاً من تلك المعاناة، والمعاناة تختلف مساربها فمنهم من يفكر في مرضه وما يؤل إليه مصير ابنه أو بناته، ومنهم من يفكر في مرضها، وآخر في معاناتها مع زوجها حتى في ولادتها ومرض أو موتها، ومن ذلك قول الشاعر العربي القديم ابن يسبر الذي يشتم الكفر من أجل ابنه ويرغب في الحياة لرعايتها:

ولم أجب في الليالي حننس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي
ذلك البيتيمة يغفوها ذو الرحم
أخشى فطائرة عم أو جفاء اخ
أذا تذكروت بنتي حين تنديني
جرت لعشرة بنتي غبرتي بدم
والموت أكرم نزال نزال على الحُرُم

(1) ومن المأسى معاناة البنات بعد الحروب وقد وصفهن الشعراً غير آبائيهن في فتنة بغداد بين الأمام والمأمون، ووصف أسامة بن منецح حالة أمة وأخته لما هجم الصليبيون على شيزا، فقد جعلت بنتها تجلس على نافذة

ابن المعتمر، طبقات ابن المعتز 281.

140
نطل على صحيق بعيد الفور، والأم واقفة بجانبها، فلما دخل عليها أسامة سألها ما هذا يا أماء قالت: لو دخل علي العدو لم تذهب بها من النافذة فihat أفضل من الأسر. ومثل ذلك ما حدث للملك المعتمد بن عباد حين عزله ابن تاشفين وألقى به في غيابه السجن في قرية (أغمات) قرب مراكش وسلبه جميع مانه ورثه ابناؤه وبناته يخدمون في البيت فزاره بناته ذات يوم في السجن، وكان يوم عيد، وكان يغزلن للناس بالأجر في أغمات، حتى إن احذان غزلت لبيب صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانة، فرأهم في اطمار رثل وحالة سبتة، فصدّعن قلبه وأنشد:

فما مضى كنت بالأعياد مسورة
فساءَك العيد في أغمات مأسورة

ترى بناتك في الأطمارات جائعة
يغزلن للناس ما يمكن قطميها

فهو يستذكر أيام التميم والجاه، وبناته يرفلن في الدممق والحرير،
واليوم يزرنه في يوم العيد بأسلاتهن البالية، وهي طاويات جوعا، والوجه قد عرتها الصفرة، والأجسام نجيلة والأقدام حافية بعد غيد العيش ورفاهه.

أصيرُهن حسيرات مكاسيرا
بُرنُن نحوك للتسليم خاشعة
كأنها لم تحط مسكا وكافورا

وشنوفي في الحدين والأقدام حافية

ومنها:

لا خد إلا يصلع الجدب ظاهره
قد كان دورك إن تأمل ممتازا
فردى، الدهر منهيا ومأمورا
فإنما بات بالأحلام مغفوراً

(1) ابن خلكان، وفيات الأمام: 652
والفناء العربية تحسب مشاعر أبيها، وتعيش خفقات قلبها مثل هذا
قلت تأمل المتاملات، وتتفكر العاقلات، وتستيقظ الفاعلات وتأخذ من
أطباق الدنيا بلا إسراف، ولتساوي العاقلة ذات المأسى والحاجات.
ولتدخر من يوم نعيمها ليوم قاتلها وحاجتها، ولتنكن شامية حادمة في كل
شيء، فإن قصة المعتيد وبناته لمجرة عبر الحقب والقرون، فعليها لا تنخدع
بما نملك من القصور والدور، وما إفاؤه الله علينا من الرواتب والمدخرات.
فإذا ما كنا حامدين شاكرين فإن الله يديم النعم، قاله نسأل أن يوفق
نساءنا وبناتنا إلى ما يرضي ربنا، ويكون في إطار من العقل الإنساني.
وتستهل الفتاة رؤى والدها فتكاد أن تتحدث بسناها، وتسلك سلوكه
فهذة ابنة لبيد بن ربيعة تقول الشعر نبابة عن أبيها في مدح أمير الكوفة
الوليد بن عقية وشكره، وكان لبيد قد أقسم في الجاهلية أن يطعم ما هبت
 الصبا واستمر على ذلك بعد إسلامه فلما نزل الكوفة وأمرها الوليد بن
عقبة إذا هبت الصبا والأمير يخطب الناس فقال قد علمت حال أخيكم أبي
عقبة وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبت الصبا وقد هبت الصبا
فاحسنوه ثم بعث إليه بمائة من الجزر واعتدل إليه.

أرى الجزرا يشحذ شفرته
إذا هبت رياح أبي عقبة
طول البوع كالسيف الصقيل
أمش الأنف أصيد عامري
فلما وصلت الجزرا والشعر إلى لبيد قال إني تركت الشعر منذ قرات
القرآن ودعا إبنته فقالت:

إذا هبت رياح أبي عقبة
دعونا عند هبتها الوليدا
أعان على مروته لبيد
بأمثال الهضاب كأن ركبا
عليها من بني حام قعودا

١٤٢ -
أيا وَهَبْ جَزَاك اللَّه خَيْراً
وَطَني بَابِن أَرْوَاى أَنْ يَعْودَاً
فلَقَدْ أَنَّ الْكَرِيم لَهُ مَعَادٍ
وَقَالَ لِبَيْدِ أَجَيِتْ وَأَحْسَنْتُ لَوْلَا أَنْكَ سَأَلْتُ فِي شَعْرِكَ. قَالَتْ: أَنَّهُ أَمِيرٌ
وَلَيْسَ بِسُوَّاَةٍ وَلَا بَاسً بِسَأْلَاهُ. وَلَوْ كَانَ غَيْرِهِ مَا سَأَلَنَا قَالَ لَبِيدِ أَجَي.
وَأَبُو حَيْانِ الأَنْدَلُسِيْ يَشَارِكُ ابْنَتِهِ العَالِمَةِ (فَانْسَارَ) آَلَامِهَا وَأَمْرَاضِهَا.
وَيَحْسُو بِوُطْنَةَ المَرْض ضَمْنِيَّةً، وَيَتَنَمَّى أَنْ تَتَمَثَّلْ لِلشَّفَاء، وَتَتَرَّأ أَنْ أَسْقَامُهَا،
وَتَنْتُؤُقَدْ إِلَى قَرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَمَدَارِسَةِ حَدِيْثِ الرَّسُوْل صلى الله عليه وسلم،
وَإِلَى تَعْلِيمِ الْلِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَيَروِيُضَّ نَحْوَاً وَصَرِيحُهَا إِنْشَا العَالِمَةِ الْوَاسِعَةِ
الْإِطْلاَعُ، وَيَشِرَّ إِلَى رَجْلِيِّ الحَجِّ، وَإِلَى مِجَاهَرَتِهَا فِي مِكَّةِ الْمُكْرَمَةِ.
أَمْرُ حَيَاتِيْ يَا نُضْرَ أَسْقَامُكَ.
وُكَانَّك لمَّا يَسَرَّ إِلَيْكِ منَامِكُ،
أَقْبُمُتْ شَهُوراً لَا يِبْلُ لِقَدْ أَنْتُ اللَّهُ
قَرَاَرَتْ الأَسْقَامُ نُفَّذْ وَسَعَلَةُ
وَقَبَلِ هَوْلِهِ اسْتَرْجُعَ مَراَمَكَ
وَبَيْدَوَ عَلَى إِثْرِ الْعَبْوَسِ ابْسَامَكَ
وَغَسَّلَ شَيْبَةً طَالِبَ حَيَّةٍ دَوَامَكَ
وَكَانَ بِتَعْلِيمِ الْقَرَآءَانَ فَطَامَكَ.
أَنتَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَهُوَ إِمَامُ
فَصِيَحُ فِي عَمَّنِ وَلَخَيْر وَصَحَةٍ
فَفَنَّصِبَ فِيَّ وَنَكَّ لَمْ تَلْفِظَةُ
فَغَيْدِتْ بِدْرُ مَضَلْلٍ مَّثُى طَلْفَةٌ
قَرَآَرَتْ كِتَابَ اللَّهِ وَالْقَرْآنَ الَّذِي
وَدَارَتْ عِلْمَ الْحَجَّ حَتَّى لَقَدْ غَدَّ
وَأَنَقَتَ خَطَا بَارْعَا بِبُهْرِ الحَجَّ
وَبَالْكَعْبَةِ الْفَرْاءِ طُفِتْ بِمِكَّةَ
وَلِلْحَجَّرِ السَّوْدِ كَانَ اِتَّشَامَكَ
(١) مُحَمَّد بْنِ بَرَّ عَمْرِي، أَشْعَارُ النَّسَاءٍ ١٢٢٧٤٣ – ١٤٥٣
وجاورد أياماً بها وليالياً
وزارت رسول الله أفضل من مشى
وأبو الشاعر ما يقارب من أثنتي عشرة قصيدة في رثاء ابنته هذه. ومحمد
حسن فقي يصدق حين يحكي أن ابنته بضعة منه في ذوب روحه تغزو
على الأرض. وهي مهجورة حين ينتابها السقاص وما يرى أن برها وقد
افظت الأمراض فهو يتمتنى نضارة حياتها، وإشراقا بسمتها وأحاديثها فما
أحلى طلباتها وآسالتها والقصيدة واضحة المعاني جليلة الفكر لا تحتاج إلى
تشرب ولا تعليق:

أبنىتي يا بضعة من أجاوردها السقاص
يا حفل قلبي يا ربيعي يا ضيائي في الظلام
من ذا أساء إليك للحس الرهيف من الأنام
من ذا أساء إليك لنفس الكريمة للسلام
قلبي لما أحلى كلامك حين يعودني الكلام
إن كان لوم فاذكريه فقد يهدني لسلام
أو كان عتب فاشرحيه فإن عتبك كلام
أو كان سؤل فاطلببه فلي سؤالك لي غرام
ويل السقاص فكم تدعب كفه هذا القوام
هذا القوام اغتصب يرغل في صبا العشرين عام
ماذا جنبي حتى يشب بهجوفه لهب الضرام

الديوان 378

144
أذنبه هذا السماء فلا لجاج ولا خصام
أم ذنبي هذا العذاب فلا انحراف ولا أثام
لخشيت مما يعتريك وما خشيت من الحمام
لو كان في كفي الزمام.. لسعت كما فككت الزمام
لكنه قد قدر يصيب.. بما يريد من السهام
ابنيتي لا تجزعي.. فلربما انتشع الغمام
ولقد يعود إليك صحوه بعد غاشية المنام
كم دمعة سقطت.. فعادت بعد سقتتها ابتسام
فطمتك الأم الحياة.. فما تخافين الفظام
ورعتك آيات الحنان.. من الصبي والغلام
ومن الكهولة والشباب.. بمصر والبلد الحرام
من كل راع للدمام.. وكل راعية الذمام
قرئ فكان النفس يأسرها الجميل على الدوام
ابنيتي.. يا زهرة في الروض.. فتحها الكمام
الري آنت فما الشراب إذا ظلمت وما الطعام
أنت الهيام فما تناال الغيد من هذا الهيام
كالنسمة الفيحاء.. اشتد الفهم
وإذا اطلام اشتد.. لحت فكنت كالبدر التمام
امطرت يا هذا الصباح.. فاحذري غضب الجهام
ابتنيتي إني كبرت.. وأرجي حسن الختام
أن البناء الضخم حوله الزمام إلى حطام
إني أحن إلى الرغام.. فنحن أبناء الرغام
فإذا أقتمت فأتني.. حبي وأحلامي العظام
إذا رحلت فلست أول من تولى أو أقتام
شر الأوراء تركته لأنال من خير الأمام
إن تنديبني بعد موتني.. تنديب الرجل الهمام
ما كنت من رهط اللثام.. وكنت من رهط الكرام
قولي: أبي شرف البراغ.. إذا نضاه نضا الحسام
قولي: شرفت مدى الحياة به.. وما بعد الحمام
إني افترعت من الخلود.. بما بذلت له.. السنان(1)

جورج صيدح الشاعر المهاجر ينقل لنا أحساسين الأب تجاه ابنته المريضة
وحين يتألم بلملها.. ويزداد جرحه لما.. وقلبه اضطراباً عندما أخذ الطبيب
يجري العملية الجراحية.. فالشرح يشرح قلب الوالد مع قلب ابنته بل إنه
يفديها بقلبه:

شرحت قلب الوالد المحتاج
وجمعته بين صياحها وصياحي
إن زدت إيلاماً فضحت تجلدي
والله لو أطلقت روحياً لأرتمت
تحت النصال تصداها بجراحي
تكتفي إذا انتشرت نقص جناحي

(1) الديوان 108

- 146 -
بالأمس مدّت عنقها من وَكِنِّها
وَيَحَى دَفْعت إلى المشارَكَت فلذة
كنت الضَّنين بِهَا على الأرَاح
سَكرتها وَأنا الصُّرِيع الصاَحِي
صرعت من الآلام في غبوبة
قالوا غُلَوُت بْحُبها فَأجْبِتْهم
ويل السَّرِجي من الخَلي اللاحِي
إن الذي أَشْفِق على خوَض الأدْجِي
مثْلِ، لتقُدِر قيمة المصَباح
جَرح الجسَّوس سلامَة الأرَاح
آمت في علم الطَّبيِّب وإن في
رِياح سُدَد كَفْسِه وسَلَاحِه
والفَزَاوِي يَشَارِك ابْتِنَة مَآساتها بعد الزواج يَلْصَح بها في ترِبية
أولادها، وْيَنْ مَعَها في أَسَاقِمهم، وَيَحَزَّن لفْرَاقهم، وَيَتَفْتَرَ قلبه لْفَقْدهم
وَمُوتِهم، إن الْبَنْت حَاضِرة الْوَجْد في مَهْجة وَالْدِها، والفَزَاوِي يَصُوْر لنا
حَادِثة وسَفِيق مَوْتٍ أَحَدّ أَحْناده من ابْتِنْهَا وَمَا كَانَت تِعَانِيه وَمَا يَعْنِيهَ الأَب
وَالأَم مَشَارِكَة لَمّ الطَّنَّل:
اَحَاطَت بِهَا مَثْل الإِطَار صَفْرَّاها
وَقَرَت بمَعِين وَطَاب تِهَارُها
تَقْسمُ فِيهِ رَوحَها وَفَقْرُها
وَفِي (حُبْرِها) طَلْف غَرْير كَانُما
رضيع كَصَفُو الْطَّل لَم يَعْد ثَانِيَة
وَكَأ اَلَّيْمِين يُسْهُوُ حَوارها القلوب
تُنَاغيه جَذَالٍ وَهُوَ يَرَقُس غْبَتْه
وًإِخوَاتِه صَفْرِي وَكْبَرِي لِقَاءِها
يَدْعِينَوَالْأَم يَحْلُو افْتِرَارُها
لَبَالْقُحغْي كَانَ فَحِمَمُ (بَخَارَها)
لَبَالْقُحغْي كَانَ فَحِمَمُ (بَخَارَها)
وَمِن تحتّهَا فَوْأَ غَاز، كَأنَّه
(1) د. محمد حسن، دراسات في الأنثى الحديثة، 139/1-147
فمانتبها ودعت حفافها
وانتقلت (حساحا) واستعمر خيارها
ربقت طفلاها بالنفس حيث رمت به بعكس ورعتها على الأرض نارها
وأصيب وأعيها عليه اصطبها
أيه ههاما (والحنان) خمارها
فجذب وضعت بالباكاء وأقبلت
فداءك والآلام يذكو استغفارها
إذا انطلقت من قلبها (الفض) أهية
(والدها) إذ هم عليها (سواها)
وتجهش حسرى أمها (وقرنها)
بودون لو كانوا افتداء وما عسي
(بلاء) تساقاه (البري) وما يجي
(بلاه) إما يذكع (السياباء) من الأعيوب العاقات اعكارها
وأي ما وسع الأنفس إلا أشبهها
قد شاط مام (أم الوليد) نياطها وكامل أضحى جلدها وغمارها
فلما تغلل ما أصاب رضيعها وهبها أن يفعي الصريع انفرثارها
وتسأل هل يحيى على أصابه وهله ناجى ونيلغ نشملها
وكان لم تكن تدرى وقد فجعت به ما شوته اللظى أم لم ينلها شرارها
ولو حسرت ما احتر منها حسيسها دريعت ولكن آين منها انحسارها
ومرت بنا (الساعات) حر كأنها (دهور) وفي (سم الخيام) مدارها
وما هذه الدنيا وإن هي أمكنت سوى (فتنة) مهما ألَّه اعترها
عجبت لها ممكورة وهي (مارك) بصيح بها من جانبيها (بورها) وأعجب منها حرصنا في (ابتسامها) وما مثله في الغد إلا (azorارها) كأطلاق (رب العالمين) فإننا (ببطفك) ننحو ما تدعي عثارها ويا أم هذا (الطفل) مائنت باليث تضرب بالأشجان شتي خطارها تواصيا بما أوصى (الله) حبيبه فما نحن والأقدار إلا اختبارها ويا باضما في المهد يفضي أنيته إلى (ذات قلب) شف عنه انسكارها أو يذك بالرحمن من كل له ومن كل عين كالشهاب احمرارها ويا (أمهات الجيل) حذرن مثلها فأنتن ما بين البيوت عامارها توقيين ما تخشين (والله حافظ) وخير (الوصايا) ما يشيع اعتبارها(1)

رثاء البنات:

إن من أكبر المآسي التي يصاب بها الإنسان فقد الآباء أو الأولاد، فالهاجرس الذي ينقص حياة الفرد هو تفكيره في موت آبائه أو أولاده، والأب والأم أكثر توجها فالشاعر يتحدث بلسان كل وائد:

وكنت أتاجي الله جل جلاله بأن فيه مكره أقضائه يقيني فإذا تقوست أركان أحد الأولاد فإن الحياة تكسوها غاشية وأي غاشية، فالحدث جلل والصاب عظيم، ولا حول للإنسان ولا قوة إلا بالله، وليس له إلا أن يقول إن لله وآتنا إليه راجعون، فما يلذناها ويستلهمها إلا الذين أمنوا وانتقوا، ومما يخفف على المسلم مصائبنا إيمانه العميق بالله سبحانه وتعالى.

(1) اليوان الغزاوي 1: 1268 – 149
والأمل في حسن مصير الميت، والأجر والمشوية لذوي الميت. وما أعظم المصيبة في ساعتها لكنها بلطف الله ورحمة الله تناقص وتضمحل، لكي وقعها له أثره وذكرها له دومه. وقد عيّن العنيبي عن تلك الحالة: ما عائلة الحزن والحرارة في الدنيا أحشام من لم يمت له ولد وما مثل موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر آخر الأمد(1). يقول الشاعر أحمد أبو الفتوح المتوفى 1855هـ في ولده:

كنت الجليد على الرزآءا كلها
وعلى فراكة ما خلقت جليدا
ما هددي مار السنين واغضا
أمسئت بعدد بالأسي مهدودا
فلأ ريب أن نجد رثاء الأولاد بينين وبينات يكثر في الشعر العربي وما يعنينا رثاء البنات، وأضمر رثاء يطالعنا هو رثاء الصنوبري لأبنائه في أثنتي عشرة مقطوعة وقصيدة، فهو دائم البكاء، شديد التعلق بها. يقول:

كفربان تصايح في الوعور
وكيف يجيب من تحت الصخور
وينحن الدموع على النحو
رأوا ليلى تسيير على سرير
ببحر من دموع بلالحو
إذا بكت الطيور على الطيور
وحلقت من لبلي على ذكرها
وحسبي النفس على ضرها

(1) مسعود العطوي، الاتجاهات القصيّة في الشعر إبان العصر الصليبيّة، 1882.
في عيدنا الأول عيد أخرى
فلس أمري فيه من أمريها
عندما عيدهم إلى دورهم
وقال يرثها أيضاً:
فانتاني راحل على أطراف
كنت لا تقدمين من سنة
وقال أيضاً فيها:
اضحت عروس القبور
زفخت إلى أي دور
وكتب الدكتور عبد الرحمن الهليل بحثاً متكاملاً عن رثاء الصنوبري
لا ينبغي.
وبرئي أبو حبان الأندلسي ابنته (نضار) بما يقارب من ثنتى عشرة
قصيدة ومقطوعة، يصور أحزانه وشجونه بفقد ابنته، فلا طيب ولا لذة
للحياة بعدها، وهو يشير إلى حياة حافلة بالعلم والتحوى، فقلبها مطمئن
لم تضجر ولم تشبت لغير الله بل اطمئنت بما يتراءى لها من أحلام
توصي برضي الرب عنها.
أمين بعد أن حلت نضيرته في الرمسب
فتاة مارها نحو ستة أشهر
سهام غريب جاء مختلف الجنس
وسكب فمن يقوى على غسل خمس
(1)
الديوان
(2)
الحيان: المور
وكانت رأى مراً وأفعتها في حضرة القدس
فلم يحثها واطمأنن لا رأى
ولى ذكرت ماداً تقاسي من اليأس
فسألت يوماً ولا اشتكت الضني
وهو يسعد بشائر الخير بموتها يوم الاثنين وصلى عليها جمع غفير من الناس لعل شفاعتهم تقبل، وتمتع بالصلاة، وأعمال الخير التي تأثرا بها في قبرها، وهي عاملة مدبرة: تالية للقرآن الكريم، متأملة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحافظة له.
تبدأ لنا قرن الفضالة كالورس
فصولها في رصنا بثنوين وانتوا
تقومها في رسماً العمل الذي
وبسائها في طبقها زمنه من يمس
مباشرة من كل زمان ومن رجب
وعادت إلى ربي كريم نظيفاً
وكان نصارى عمت الخود لم تزل
تمس_Ptr قرآن تردد آية
وحاملة الأثاث عن سيدناBER
رومها بمصر والحجاز وجاجبت
بمكة تسخو بالدناشير لا الفلال
بطيبة واحتلت بأربعها الدريس
وزارت رسول الله أفضل من مشى
مصلية (حياناً) عليه وثارة
مرة في الجهر منها وفي الهمس
فأوضح من شمس وأفصح من قس
يريك أذى الرجاء في أبهج الليس
 frivol لذي عين وشاق لذي حس
لها بسواد النفس في أبيض الطرس
فلهو أبصريته لابن مقولة مقلبة
لاغضت حياً وهو قد عض في الخمس
سقي روضته حلت نضار بتربها
من المزن وبل دائم السح والبجس
ولا زال تسفيه سحابة رحمة
tواليه في آت وحال يلي أمس

فاقت المأساة التي حلت بالشاعر بعد أن عقد أمآله عليها، واحتلت
عشاري قلبها، واستحوندت على كيانه، فاقت وفاتها سحابة حزن أطلته
رحا من الزمن فيصور موتها العاجل حين يقول:

رفت وفيف الأفحوانة وانتفعت في عمرها
ماذا جنّت حتى تصيدها الردي في فجرها
يا رب لا تحبس فـؤادي لحظة عن ذكرها

والأيام نصراني حين قال هذه الأبيات، ونحن نؤمن بالقضاء والقدر
والحكمة الحكيمة عن مدارك الإنسان فله الحكمة في اختراق الأطفال، وله
حكمته في قضى أرواح الشباب.

وينظر ركي قنصل من حوله وإذا بأمتهها وألذابها في سريرها:

هذا سيريرك يا سعاد فأين صاحبة السرير
عيني عليه ومهجتي ترتاد حاشية الأثير
باجدولا ولا ماء فيها ولا رواء ولا خير
هل كنت تحلم أن تصير إلى الهوان وأن تصير

الدبوان ٢٨٨

١٥٣ -
ويقول:

سريرك ما زال في ركناً
تلمس طلبي عن خدنه (1)

وهو يقف على ضريحها يرثى نفسه الولاه بسعادة CORPORATION بها، فهو
يشتكي الأنسى والجراح الفائرة، وهو يتميزي زواله قبل خذه بعد أن كان
يتمي الأقاص الآتية لاقترانها بسعادة، وهو يزور قبرها لا بشاشة وإنما يكتوي
بحرق النار:

يا من يرد إلى ضياءتي بسمة الأمل الندي
ويُعيد لي ما أفتت الألماً من قلبي الصدري
انا من أسى ومن جراح في ظلام سرمد
قد كان يضحك لي غدي واليوم أهرب من غدي
ماتت أناشيدني أنجساني ويع رصوت المنشد

استعاد جئت لا بشاشة في العيون ولا بريق
النار ملء جوانحي والشوك في عرض الطريق
دجت الحياة حيث في عيني محيها الأفلاق
لا الروض زاه بسند الغول-large ولا عودي وريق
وبحي الأفرج في الدمع وليس لي أمل الغريق

(1) ركي فصل: الديوان: 299.
أين ابتسامتك الودية تملأ العش ابتسامًا
وقل في ما حولنا أرجأ كأنضاس الخُرَممة
أين احتجاجك ببسط لضحك في بابا وماما
ينساب دمدة وينزل في فُؤادتنا سلامًا
لم تلفظي حرفًا ولكن كنت أفصحتا كلامًا

هذا سريرك يا سعاد فأين صاحبة السرير
عيني عليها ومِهجتي ترتاد حاشية الأثير
جردتته ما ذهبت من النضارة والعَبَير
يا جدولاً لا ماء فيه ولا رواء ولا خُرير
هل كنت تحلم أن تصير إلى الهواني وأن تصير

(1) محمد عبدالله فاضل

(1) محمد عبد القادر فاضل

شيعتها والليل محج
حملتها وحدي وفي
ماهزها مهد سوٍ
لهي.. وما بسمت ولم
ويقول.. قائلهم ته..
ربي الصحائف والرغام
حماة يا عمرا جريح
عجل فضمن كان النصيح
لقبا واسمأ ملحي
مجهول في ويث مريح
دنيا الطغام سوى ضريح
صف والياذل والقبح

وتنجلى موجات الحزن عند حسين سرحان في رثاؤه لا بنته مينة،
فبينيهم التمازج بين الفتاة المتوفاة والأب الشاهد، يبكرو لفظة آرك: وما
أبلغها في هذا الموقف فالرؤية تكون في البقعة والنوم في القرب والبعد
فهي تملأ أخيلته وقلبه، وتستحوذ على كيانه، بخلاف الرثاء الذي نجده

عند محمد حسن فقي لابنته فهو يرشي نفسه، يقول حسين سرحان:

أراك أراك في نومي وصحووي
أراك عليَّ أفحذة دروب
أراك على التمارق والحشایا
على استضحاكه وعلى القطوب
أراك على صدى صوت مجيب
أراك على مدى طرف معيد
مع الماء الذي أحسو (بكوني)
وأحلاسي بكل ست حبيب
خلالك عبر اودية الغيوب

(1) محمد عبدالقادر فقي، المجموعة الشعرية الكاملة 112، الطبعة الثالثة 3 دون.
أراك. رأتك عين الله. خلدا
اية استبطاف أروبي من ذهوب
وعرّب. في شمالي أو جنوب
تهب به الريح مع الهبوب
له أرغ كتمزق الجيب
نمح الغيث في مسق شذي
أراه إذا استططر بكل أفق
يومن شرايك مزنة إن قلبي
ويبتى محمد حسن فقى بفقد ابنه في بلاد الغرب في أمريكا أثناء
دراسةه وكذلك بصاب بまでة فقد ابنه في سنة واحدة، ويعترق لهذين
الحدثين، وبرههما، لكن ابنه لها الأثر الأعمق، فأثارها بما يقارب من عشر
قصائد، يرثي حالته أكثر مما يرثي ابنه وابنها فيها يقول في قصيدة يرثي
بها ولديه:

بعد اليوم منكم يوشك قضاء
برعى ويستعصم على الاطفاء
فارقتماني فالله له في مهجة
قد كنتما برحانتى فانتشى
والنفح في الإصباح والإمساء
بعدم الريعة بعج بالأنواء
وذَنُبِّيما وآتيني الخريف بجدهما
انضمام أوضح بهم وعشياء
بكم أيضا ظلمتي وعمالي
بالقرب بعد ردا من أبنائي

حسين سرحان، الطائر الغريب 29، دار الزمني للطباعة والنشر، الينا. ت.
يا للحياة وقد خبرت صروحها
بين نصبتين لناظر
لزهدت فيها واجتذبت رصيلها
في كل الف واحد مسطلح
لك بلح الكنوب لفانتك
ويظهر اكترهم بغیر تحية
هذى سراب ما به من ماء
لنفس تبدرها من الرمضاء
أنا ساكن في الجنة الفيحاء
أشقى الأنام إذا استظل طلالها
كلاكم ما عن فرحه ويكاء؟
أرحلت ما حق؟ وله أنا عاجر؟
عن فرحه بلاكم ما عن دمعه
لناكم ما عن عصمة وفداء
لبي الذي منح الحياة لهجتي
سوى المصير وليس بالأزاء
اغربت الأولى القلوب تصدعت
(1)
ود كن القصيدة السائقة ترثي وله، فإنه خص ابتنه بعد من
المصائد والقطعات، يحكى مداهمة المرض للفتاة في ميعه الصبا، وفتوة
الشباب، يتعاظم عليها المرض الفتاك في ربيع حياتها، فيشتهد ألمها وحزنها،
وتسبح دموعها ثم تودع الدنيا. وهو يعقد مقارنة بين قوة ابتنه ونضارتها

الديوان 6 : 425
- 158 -
وبين كهولته وبداية ضعفه، فاختبر المنون القوي النضر، وتجاوز الضعف الواهن.

فستسبح في مأوى الدموع
أتربت فاستحثنت الرثوء
وتنطفئ الكواكب لا الشمع
وقد ذهبت وما بكت الفروع
وقصر دون شهوتنا الهجوة

علىها.. وهي نهذى في الظلام
احتشى ما يروع أم محاشي
تصارعنا على سقط الخشاش
فضاعوا بالتخاصم والهرش
فما أرضوهما من التحاشي
قد اغتالت أحبائي وصحبي
لكنت قضيت قبل اليوم تحب
وطن أرى ملكت بها فتى
فحسبي ما لقيت بكل ذريب
أقول لها أتصرعنا بسلام
كريمه.. أو تصرعنا بحرب
وما جدول الحياة بغير لب

وله قصيدة (آكباد تحترق) يحكى قصة الأمساء التي داهمت ابنته,

الراجع السابق ٢٤٢

-١٥٩-
ويبتعد إلى الله مسلمًا لقضاءه وقدره، آملاً في مغفرته ورحمةه، صابراً

محتسباً.

ما قاسته من الموتى
سخوت بها على ريب المنون
لقد قاست من الألام ما لم
بُقص المسئوون على أتون
ولالاء تدل على الغصون
أجهرت التي كانت فتونة
لقد عصفت بك الدنيا فأبكت
على توجَّهت كل الخصون
مصابك كان في شجن الشجون
ولا أنا بالذي أنعى ابتعالائي
وكم قاسيت من شجعان ولكن
إذا حكم القضاء فليس يجد
وما أنا بالذي أشكو اكتوائي
فقد فوضت أمري منذ أمسى
واعرف أنه يدري بدائي
وهم يوحي إلى رب السماء
ويبرحمني وبつくين دوائي
فبأ رضاءه أوفي الجزاء
ففهد سألانله. وأنا كليم
فأنى دمي له وندمت ممالي
وحكم فالتغينمة في الإيام
وقلت لك كل رئة مستبد

ومن الشعر القليل الذي عثرت عليه رثاء الشاعرات لبنيهم فقد تدقق
مأساة فقد الأبنية في شعر عائشة التيمورية (1521 - 1320 هـ) في قصيدة
تصور عظم الناقة، فكان يوم القيامة قد أزف على الشاعرة، فالأنوار قد
زالت، والشمس قد أنجحبت، والنجم قد أفلت والنار قد اشتعلت في
جوفها.

(1) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة 6:124.
فلا مصيبية في نظرها أعظم من مصيرتها لا في الأولى ولا في الأخرين، تقول عن انتها (توحيدة):

إن سأل من غرب العيون بحور فالدهر باغ والزمان يغدور
فكل عين حق مـدء عضـار العين
ولكَ قلب لوعـة وشـبُور
وتفيـبت بعد الشروق بدور
وبدت بغلبي جذوة وسعير
وعلى الدي عمى ورعيتي الأمى
ملدود المدى ينوي عهدتنو
والعيون من الظلام تذير
نار لها بين الضلوع زفـير
لصاب قيس وملصاب كثير
لو بث حزين في الورى لم يلتفت
لا ظنـي السقم في صغر وقد
يا الطبيب ضحى وبشر بالشهاد
لست ليشتر السقمة في صغيرة
إن الطبيب ببطبه مغدور
واسف النـجع وهو يزعم أنه
بالبرء من كل السقوم بشير
عجل ببرئي حيث أتت خبر
فتنفـست للحزن قائلة له:
وجي اشتعال قللب الفتاة على مصيرها ومصير أمها بعد وفاتها،
فهي تدرك مدى الأحزان:

والرحم شبابي إن والدتي غدت
شكوى الشهاد وفي الجفنون فتـور
وارأفت بعين جـرمت طيب الكرى
ما رآى يأس الطبيب وعـجزه
قـالت ودموع المقلتين غـزير
أما أومل في الحياة نصير
لوجاء عراف اليمامة "يبتغي
برئي لرد الطرف وهو حـسيـر

11 الاليث في شعر ل зад
ماري روضي حَلَّها نَزع البَشّار
استُرِئَ تَمشي كالْمَلْاعْرِيس يَسير
هو منزلي وله الجَمْع تَقَصِير
جاءت عِروساً ساقها التَّقدِير
فَتَرَاه رأْعها المَقدُور
يَا حَسْنُها لو ساقها التَّقسيم
اَمْامَ قد سَلْفَت لنا أمنيتَة
كانت كَأَحَلام مضت وتَخَلْفَت
عَودَتي إلى ربيع خَلا وْمآثر
قَد خُلْفَتْ عني لسأّ تأثير
قَد كان منّه إلى الزَّفاف سَرور
لَبِس السَّواد وتَقُبَّد المَسطور
رِيحانهُما عند المَزار زهور
والتَّقْرَر صار لِفَصْن قديْة رَوْضة
أَمّها لا تنسي بِحق بَنوتَي
قَبْري لَبِس يَحْزِن المَقبل
فَسَواد من لي بالحَنين يَزور
هو راحم بِرَبَّنا وُضْفَعُور
فَنَعَّلَما أَحْطِي برَحمة خالِق
ثَمّ تَجَيب ابنتا بُقلب مَوتور، وَكِبَد مَحترقة بِأنّ الحَيَاة قد زالَ صَمُوها،
وَعَلا كَدرها، وَتَعاَهَدا بِأنّ تنعمها بِالدعاء والْتَهَجَد وتَلاوة الْذَّكَر:
فَأَجِبْتُها وَالدمع يَحبَس منطقي
وَالْدهر من بَعد الجَوار يَجور
فَقَد زال صَفْوُها شأنَه التَّكَدير
بِنَتاهُمْ ياَكْبِدي وَلَوْعَة مِهْجِيَة
لا تَوصِئَ كَلِّي قَد أَذاب وتَينيها
قَسِماً يَغْضِب نَوْاطر وتَلْعِف
قَد غَاب إنْسَان وفَارَق نور

١٦٢
fkhrmt طيب شذاء وهو عطير
ما غردت فوق الغصون طيور
والله لا أسلو التلاوة والدعاء
كلا ولا آنسى رضي توجمي
ثمَّ مَسْتَرْقِب الله، هل من الْعُمَرَاء
زَيًّى هُمَّة، وكَفَّاء
لو غاب عني ساعني التأخير
إني آفتن الحزن حتى إنني
كيف التصبر والبعاد دهور؟
بدور خلد زينتها الحور
إن قيل: "عائشة، أقول لقد فتني
قد غاب بدر جمالها المستور
وهي على" توحيدة "الحسن التي
قلبي وجنبي واللسان وغبضور
ما ازنت لك غرثة وقصور
متعت بالرضوان في خلد الرضا
ودممت قول الحق للقوم: ادخلوا
داو السلام ضعيفكم مشكور
لا عيش إلا عيشه المبرور
"توحيدة" زفت ومعها الحور.
ولك الهواء فصدِّق تاريخي: بدا
والرثاء في شعر الآباء والأمهات أغزر الأشعار وأكثر الموضوعات التي
قيلت في البنات، ويتلفع موجات من الحزن، ولواعش المشاعر ونفت الحرقة.
وتفرج الكبد، وليس أدل على ذلك من قصيدة عائشة التيمورية في رثاء
ابنتها (توحيدة) كما تجل في رثاء الصنوري وأبي حيان الأندلسي.
لابنتهما.

---

1) حليمة الطراز (ديوان عائشة التيمورية 109، الطبعة الأولى 1952م، مطبعة دار الكتاب
العربي. القاهرة.
المصادر المراجع

1- إبراهيم السبيل، نقوش على صفحة المجتمع، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض 1417 هـ.

2- أحمد رامي، الديوان 238، بيروت، دار النعومة، 1987 م.

3- ديوان الأعشى، ص 273 بتحقيق محمد حسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة 1304 هـ- 1983 م.

4- البارودي، الديوان، شرح علي عبد القصود عبدالرحمن، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى 1541 هـ- 1995 م.

5- حسين سرحان، الطائر الغريب 29، دار الزايد للطباعة والنشر.

6- حمزة شحاته، الديوان، الطبعة الأولى، دار الأصفهاني للطباعة والنشر، 1408 هـ.

7- ابن خلكان، وفيات الأعيان 5، دار صادر / بيروت، الطبعة الأولى.

8- أبو دلامة، الديوان، تحقيق د. برشدى على حسن، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1406 هـ، 1986 م.


10- عائشة التيمورية، حلية الطراز (ديوان شمر) مطبعة دار الكاتب العربي القاهرة، الطبعة الأولى 1952 م.

11- عبد الإله محمد جدع، أحبك 17، تهامة، الطبعة الأولى 1983 م.
الأمير عبد الله الفيصل، حديث قلب، دار الأصفهاني للطباعة

بجد - بلا تاريخ -

عبد الله محمد باشراحل، النبع الظами 362، مطابع شركة المدينة

المورطة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1467هـ - 1986م.

عبد الله بن خايس، على ربى اليمن، الطبعة الثانية، مطابع

الفرزدق، الرياض عام 1436هـ - 1985م.

د. عبد الرحمن المنشاوي، يا ساكنة القلب 272، دار عائلة الكتب،

الرياض، الطبعة الأولى 1413هـ.

عبد السلام هاشم حافظ، الأربعون 641، الطبعة الأولى 1413هـ،

على زين العابدين، ديوان تفريد، دار العلم، جدة الطبعة الأولى،

450هـ.

د. غازي القصيبي، المجموعة الشعرية الكاملة، مطبوعات نهامة،

الطبعة الثانية 1408هـ - 1388م.

الفزراوي، الديوان 1: 128، تحقيق د. مساعد عبد العطوي، الطبعة

الأولى.

أبو فراس الحمداني، الديوان، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، دار

الفكر للنشر والتوزيع.

د. فهد محمد النجعان، نداء حبي، منشورات دار ثقافة للنشر

والتأليف، الطائف، الطبعة الأول 1378هـ.

المبرد، الكامل، تحقيق محمد أحمد الدائي، الطبعة الأولى

1409هـ.

محمد حسن العمري، ينابيع الربيع، الطبعة الأولى 1415هـ، الدار
السعودية للنشر والطبع.

٢٥ - محمد حسين فقي، الأعمال الكاملة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٢٦ - محمد بن عبد حسين، دراسات في الأدب الحديث، الطبعة الخامسة مطبوع الفرزدق، الرياض عام ١٤١١ هـ، ١٩٩٠م. أصداء وأنداد، مطبوع الفرزدق بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

٢٧ - محمد عبدالله قادر فتيه، المجموعة الشميرة الكاملة ص:١١٢، الطبعة الثالثة.

٢٨ - محمد معيدي، أشعار النساء في الجاهلية والإسلام، الطبعة التجارية المدينة، مصر، الطبعة الأولى عام ١٩٨٦م.

٢٩ - ابن المعتز، طبقات ابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج دار المعارف المصرية، الطبعة الثالثة.

٣٠ - معروف الرصافي، إيليا الحاوي، الطبعة الثانية ١٩٨١م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣١ - السيدة زينب، موسى محمد علي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م، عالم الكتب.
فهرس المراجع

المقدمة .................................................. 6
المرأة في الجاهلية ..................................... 12
كرامية بعضهن للبنات ................................ 26
حماية الفتاة ................................................ 27
الانحراف الفكري حول البنات .......................... 36
التعليم المعاصر للفتاة ................................ 48
تعليم الفتاة في المملكة العربية السعودية ... 60
الاتجاه الفكري حول تعليم الفتاة ................. 65
صورة البنات في الشعر .................................. 71
الولادة ....................................................... 74
 MADUBAT AL-BANAT 84
حادثة البنات ............................................ 106
زواج البنات عند العرب ................................. 124
مشاركة الآباء لبناتهم ................................ 129
الرضاعة .................................................... 148
المراجع والمصادر ...................................... 148
المرشد ..................................................... 167